تاريخ الإرسال: 2016/10/09 - تاريخ القبول للنشر: 2016/11/21 تاريخ النشر: 2016/12/26

الدور الثقافي للشيخ : أبو زكرياء يحي الشّاوي النائلي في الجزائر و المشرق العربي.

(1074 - 1096 هـ/1663 - 1684 م) .

امحمد قرود

جامعة زيان عاشور الجلفة

ملخص المقال :

يعتبر الشيخ يحي الشاوي النائلي - (1030 - 1096 / 1621 - 1685 م) - أحد أبرز علماء الجزائر و المشرق العربي خلال القرن 17 م / 11 هـ ، كان عالما بالعلوم الشرعية و علوم اللغة العربية ، و نال نصيبا وافرا من علم المنطق و الفلسفة ، تلقى العلم من علماء الجزائر، و رحل للمشرق العربي (مصر و الشام الحجاز) كعالم قلّ مثيله ، منح مئات الإجازات العلمية لعلماء المشرق العربي في علوم شرعية و لغوية مختلفة ، درّس بالمراكز الإسلامية الكبرى الأزهر ، و الجامع الأموي ، و الحرمين الشريفين ، إنتقل إلى عاصمة الخلافة الإسلامية و أبهر بعلمه السلطان مراد الثالث ، ترك الشيخ النائلي أكثر من أحد عشر مؤلفا لاتزال أغلبها مخطوطة تنتظر من يحققها .

Résumé:

El cheikh yahia echaoui ennaeli (1030– 1096/1621–1685) est considéré comme l'un des grands savants de l'Algérie' et de l'orient arabe durant le 17ème Siècle' il était un savant du droit musulman (la charia) et les sciences de la langue Arabe' et aussi il a eu une grande part de la logique et la philosophie' il a reçu la science des savants Algériens' en suite il s'est déplacé à l'orient (l'égypt.' le cham et le Hijaz) comme les savants rares' il a attribué des centaines de certificats scientifiques aux savants de l'orient dans les sciences du droit musulman' et des différentes sciences

langagières' il a donné des cours dans les principaux centres islamiques comme El Azhar' la mosquée des omeyades' à la Mecque et la Médine' il est allé ensuite à la capitale de la Khilafa Islamique ou il a séduit le Kalif Ottomane Mourad III par sa connaissance' El cheikh ennaeli nous a laissé plus de onze Manuscrits' non publier jusqu'à nos jours.

المبحث الأول .

نشأته وثقافته بالجزائر .

أبو زكرياء يحي بن الفقيه محمد بن عبد الله بن عيسى النايلي المليانيّ[1] الشهير بالشاوي لقبا لا نسبا ، فقد سمي بيحي الشاوي تبركا بأحد الشيوخ الصالحين الذين استضافتهم الأسرة ليلة ولادة إبنهم [2] ، ينتمي إلى إحدى قبائل أولاد نائل* التي تركت مضاربها واستقرت بمليانة ، فهو من عرق عربي أصيل ، فأولاد نائل ينتسبون إلى الأسرة العلوية (الحسينية) الشريفة ، ومن الأسماء الشائعة عندهم اسم عيسى الذي سمى عنه كبير أبنائه ،(على اسم جده الثالث) في شجرة النسب العائلي [3] .

تضاربت آراء المؤرخين حول تاريخ ومكانة ولادته ، فالبعض يذكر أن مولده كان بمدينة الجزائر ، و آخرون يجمعون على أن مولده كان بمدينة مليانة [4]، وهذا هو القول الراجح على اعتبار أن كل أسرته قد استقرت بمليانة ، لم يجمع المؤرخون كذلك على تحديد تاريخ ميلاده ، و أحجم الكثير منهم عن ذكره ، وأشاروا إلى أن مولده كان في ثلاثينات القرن 11 هـ/17 م ، وهناك من أكّد أن ميلاده كان في سنة 1030 هـ/1621 م [5] ، وهذا ما سنعتمده في دراستنا هاته .

تلقى يحي الشاوي الأسس التعلمية الأولى بمسقط رأسه (بمليانة) ، في الكتاتيب فحفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة من عمره ، وأخذ عن والده أبي عبد الله محمد النايلي بعض المتون في الفقه واللغة العربية ، وبما أن مليانة عندئذ لم تكن تعيش حياة علمية مزدهرة ، و لم يكن بها علماء بارزون ، فسيضطره طموحه العلمي إلى أن يغادر مليانة

متجها إلى زاوية أبهلول المجاجي ـ قرب تنس ـ والتي اشتهرت بعلمها وعلمائها وكان طلّاب العلم يقصدونها للقراءة الثانوية [6] ، قبل أن يقصدوا عواصم علمية أخرى شهد لها ذلك القرن مثل مدينتي الجزائر و تلمسان .

انتقل إلى الزاوية المجاجية ، وهناك أخذ علوما عقلية و نقلية على يد الشيخ محمد السعدي بن محمد ابهلول ، مثل التفسير والحديث و النحو وعلم الكلام و المنطق وحاز على إجازتين علميتين من الشيخ محمد ابهلول ، وكانتا فاتحة العلوم على شاب ستتقاصر دون علمه همم العلماء الكبار .

كانت الإجازة الأولى علمية بعدما قرأ عليه موطأ الإمام مالك ، و بعضا من صحيحي البخاري ومسلم ، ورواية الكتب الثلاثة المذكورة بسنده عن شيوخه [7]، و مما جاء في تلك الإجازة : (يقول عبيد اللّه محمد السعدي بن محمد ابهلول : قرأ عليّ العالم أبو زكرياء سيدي يحي شهر الشاوي بعض موطأ إمامنا مالك ، و بعض صحيح البخاري و بعض صحيح مسلم ، أدام اللّه توفيقه ، وأنار في مسالك الخيرات طريقه ، و أجزت له رواية جميع الكتب الثلاثة المذكورة ، متلفظا بالإجازة ... وقرأ أيضا بعض الشفا وأجزته في جميعه ... ، و أذنت له أن يروي هذه الكتب الأربعة ، بما لنا فيها من الأسانيد المذكورة و التي اقتصرنا عليها هنا اقتصارا ، وأن يروي كل ما يجوز لي وعني روايته بشرطه ...)

لكن ما يجب أن نقف عنده في هذه الإجازة العلمية ، أن الشيخ أبهلول يصف يحي الشاوي بعبارات لا تطلق إلا على كبار العلماء كقوله (...العالم أبو زكرياء سيدي يحي شهير الشاوي...) ، فهل تطلق تلك الأوصاف على طالب في مرحلته الثانوية ؟ وهل وصل يحي الشاوي إلى تلك المرتبة في ذلك الزمن القياسي حتى يطلق علية شيخ في مكانة محمد ابهلول تلك الألقاب ؟ أم أن القضية لا تخرج عن كونها صياغة معتادة في الإجازات ؟ ، لكن قد تكون تلك الإجازة جاءت متأخرة ، و لم يتحصل عليها الشيخ يحي الشاوي لمّا كان في بداية مشواره بمجاجة ، إلا أنّ سكوت المصادر وشح المعلومات عن حياة شيخنا النايلي ستترك الإجابات حائرة إلى أن يظهر ما يهدي الحيارى في ليل الشح (الوثائق) البهيم .

أما الإجازة الثانية فكانت صوفية ، فقد أجازه شيخه ابهلول بمصافحة الفقيه محمد العربي يوسف الفاسي له بزاوية محمد بن أبي بكر الدلائي [8].

و رغم ان المدة الزمنية التي قضاها هناك غير معروفة ، لكن المؤكد أن ذاكرة العجيبة قد وعت كل ما قدّم له من علوم بالزاوية المجاجية ، وفي زمن قياسي ، فقد حفظ في صغره ثمانية و أربعين تأليفا ، و حفظ عشرات الشروح الفقهية ، وكانت حافظته مما يقضى منها العجب [9] .

زاد طموحه للاستكثار من العلم ، فقصد مدينة تلمسان حاضرة الثقافة بالغرب الجزائري ، وإحدى قلاع العلوم العربية والإسلامية وحاضنة آل المقّري ، و محج العلماء ورغم عدم تأكدنا من العلماء* الذين أخذ عنهم هناك ، إلا أن المدينة لم تخل دائما من علماء كبار قد فلتت أسماؤهم من كتب التاريخ ، وما أكثرهم في كل زمان ، وكان يكفي الشيخ الشاوي أن يطّلع على مكتباتها وتراثها المخطوط لتتسع مداركه العلمية ويحقق المأمول من تلك الزيارة .

تواترت الأنباء عن إمكانية زيارته لمدينة فاس ، فغالبا ما تشد إليها الرحال من تلمسان ، حيث لا حدود مصطنعة تعيق طلاب العلم عن بلوغ مراميهم ، و العائق الوحيد هو ضعف هممهم ، وتلك صفة أبعد ما تكون عن شخصية يحي الشاوي ، وما كان ليفوّت تلك الفرصة ، فقد ذكر في مؤلفه (المحاكمات) ما يؤكد زيارته لفاس ، فعند هجومه على بعض المشعوذين في مليانة ، واتهامهم بالفجور و الزندقة والإلحاد ، يذكر انه رأى ذلك

منهم أيضا بفاس ، ويؤكد أنه لا يتكلّم عن سماع بل عن معاينة لهم[10] ، إن ما ذكره الشيخ الشاوي يدلّل على أنه قد زار مدينة فاس المغربية ، و اطلع عن حياتها الفكرية والثقافية ، لكن المحققين أغفلوا هذه الفترة من حياته ، فلم تتسنى لنا معرفة عمّن أخذ من علمائها وما العلوم التي درسها هناك ؟ .

عاد من تلمسان إلى مدينة الجزائر ، وهناك درس الفقه والحديث وغيرهما من العلوم عن كبار علمائها كالشيخ سعيد قدّورة ، و الشيخ الأنصاري السجلماسي، والشيخ

عيسى الثعالبي ، وقد ذكر المحبي أن هؤلاء العلماء قد أجازوه [11] ، إلا أننا لم نعثر على ما يؤكد أن الشيخين سعيد قدّورة ، و عبد الواحد الأنصاري قد أجازاه ، لكن ما عرف به الشاوي من حرص في طلب العلم وذكاء ، ما كان ليفوت تلك الفرصة ، خاصة أن هذين العالمين كانت تشد لهما الرحال من مختلف الأقطار لنيل إجازتهما ، وليس هناك مانع لحصوله على تزكيتهما فقد شهد له بالعلم والحافظة العجيبة ، وتلك صفات تغري علماء ذلك العصر لمنح الإجازة دون تردد ، و ما دمنا لا نملك دليلا مكتوبا على تلك الإجازات فإن تأكيدها أو نفيها مرهون بجهد الباحثين مستقبلا .

أما إجازة الشيخ الثعالبي له فقد أكدتها المصادر* ، بعدما لازمه لمدة 10 سنوات وأخذ عنه علوما جمة في الحديث و الفقه و النحو ، وسار معه ثمان مراحل أثناء رحلته نحو المشرق سنة 1061 هـ/1651 م ، ليتم عليه قراءة علم المنطق [12] .

صار الشيخ الشاوي ابرز شخصية علمية بمدينة الجزائر خلال فترة : 1064 - 1074 هـ/1651 - 1663 م ، فقد توفي قبل هذه الفترة كل من الشيخين عبد الواحد الأنصاري (1057هـ) ، و سعيد قدورة (1066 هـ) ، وفي نهايتها يهاجر الشيخ الثعالبي نحو المشرق العربي ، وتلك الظروف تجعله الشخصية العلمية الأولى التي يلجأ إليها في الإفتاء أو التدريس ، وأكدت المصادر التاريخية أنه تصدر للتدريس ، وامتلك من المواهب والقدرات العلمية من نحو فقه ومنطق وحديث و بيان ، ما أظهر قدرة وتمكّن من العلوم العقلية و النقلية فقدّم للتدريس** ، وعقد المجالس للحديث والقراءة وشرح الكتب الستة واشتهرت مجالسه بشرح موطأ الإمام مالك ، وانتفع به خلق كثير من طلبة العلم ، و اتسعت مجالسه العلمية ، فضاهت مجالس شيوخه وذاع صيته في الجزائر حتى وصفة الشيخ بركات بن باديس القسمطيني بأنه عالم الربع المعمور .

رغم مكوثه الطويل دارسا ومدرسا ومفتيا [13] بالجزائر، إلا أن المصادر لم تشر إلى أنه ألّف كتبا ، أو منح إجازات علمية ، وهو أمر مستغرب ، فقد نال الإجازات من شيوخه ، وصار من حقه العلمي الرواية عنهم ومنح الإجازات لمستحقيها ، لكن ما كتب عن حياته في هذه المرحلة يغمط حق عالم اخترقت سمعته العلمية الآفاق ، ويبقى للبحث في الدور العربية والغربية منفذا لإنصافه و استجلاء ما غيبته نوائب الدهر .

إذا كنا قد عرفنا تحركات الشيخ الشاوي في طلب العلم بوسط الجزائر وغربها فان توجهه نحو الشرق الجزائري أحجمت عن ذكره المصادر التاريخية ، فما كان ليخفى عنه مكانة بونة ، وفحول العلماء فيها خاصة آل

البوني ، ولا تغيب عنه قسنطينة و شيخها الفكّون ، الذي تضرب إليه أكباد الإبل لنيل علمه ، فهل فوّت عالمنا تلك الفرصة و أغفل الرحلة نحو الشرق الجزائري ؟ ، هل يعقل أن يتكبد مشاق الهجرة إلى المشرق العربي سعيا للعلم ، و تخور همّته دون الوصول للشيخ الفكّون الذي خضعت له طوعا رقاب السياسيين الأتراك وعلماء الجزائر والمشرق ؟

إن استقراء الأحداث ، ومعرفة طبيعة الرجل ، ترجّح فرضية تنقله للشرق الجزائري (قسنطينة ، عنابة و بجاية) [14] ، طالبا للعلم محتكا بالعلماء ، وإن كنا لا نملك دليلا لحد الآن يؤكد تلك الفرضية ، و إذا كانا لا نملك برهانا على انه زار قسنطينة بغية العلم ، فإن صاحب (تاريخ الجزائر العام) ذكر أنه عرج على قسنطينة في طريقه نحو المشرق العربي حاجا - أو مهاجرا - سنة 1074 هـ/1663 م ، وكانت له وقفة فقهية مع عالمها بركات بن باديس ، عندما سأله عن حكم أكل لحم الطرائد التي تصطاد بالبندقية ، وكان السؤال منظوما أظهر صاحبه تقديرا للشيخ النائلي وواصفا إياه ببحر العلوم وفخر الزمان ومما جاء في السؤال :

أبدرا بدا من جانب الغرب قادم وبحر علوم لا يكاد يلاطم .
سألتك يا فخر الزمان وصدره عن حادثة أحدثتها الأعاجم .
أ فيما يصاد بالبنادق رخصة تزيح ظلام الشك والصدر سالم .
أجب سائلا يبغي الإفادة منكم وأنت إمام بالشريعة قائم .
وأختم نظمي بالصلاة على الذي وفدتم إليه بالركاب تزاحم.

وجاء جوابه مجيزا لأكل تلك اللحوم ، مؤكدا على وجود من يخالف هذا الحكم الفقهي وقد أظهر في هذه المسالة الفقهية القدرة على الإفتاء في القضايا الفقهية المستجدة والتي تستند إلى الاجتهاد و القياس الفقهي ، أكثر من استنادها إلى حفظ النصوص الشرعية و تلك من ميزات العلماء الكبار الذين يعون علوم أسلافهم ، و يعيشون مستجدات عصرهم ، و كانت الإجابة عن هذا السؤال منظومة على نفس البحر والقافية التي ورد بها السؤال ، مما يبرز الباع الأدبي والبياني الذي بلغه - وسنفصل في ذلك لاحقا - ومما ورد في تلك الإجابة :

أتانا سؤال من فقيه منادم إمام أهل التحقيق خدوم و صارم .
يؤمل مني في البنادق رخصة تزيح ظلام الشك عن كل عالم.
فقلت فيها خلاف وراجح قولهم إباحة صيد منها ليس بصادم.
فتاوى لأهل فاسنا كابن غازهم و منجورهم بالحل يا خير فاهم.
وخالفهم غير بحجة صدمها ولا حجة بها و بالعلم قاوم.
وحجة من أباحها مورد الصقا لما انهر الدم الحديث لهاشم .
مدونة سحنون تأول لفظها بتحريمها بالبنادق آجم .
بأن المراد ما من الطين صنعها ويضرب بالأقوال صرعا لقائم .
وصل و سلّم بكرة وعشية على المصطفى الهادي لكل مسالم [15].

لما بلغ شيخنا النائلي الرابعة والأربعين من عمرة خلال سنة 1074 هـ/1663 م ، تحركت همته نحو المشرق العربي ، فهناك الرفعة العلمية ، و فحول العلماء و فوق هذا وذلك ما تهفو له نفوس كل المؤمنين ، حيث المدينة المنورة ، وقبر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، و الكعبة المشرفة ، وهو بذلك يسلك خطى قدواته ، من أمثال الأنصاري و قدّورة والثعالبي و غيرهم .

قد لا يكون الدافعان العلمي و الروحي فقط اللذان جعل شيخنا يهاجر نحو الشرق الإسلامي ، فقد يكون وراء ذلك عامل سياسي ، خاصة أن الأوضاع السياسية في الجزائر خلال هذه المرحلة - عهد الآغاوات - عرفت بكثرة الاضطرابات و الثورات[16] وصار العلماء بين كفي الرحى ، فإما أن يؤيدوا الحكام فتغضب عنهم فئات واسعة ناقمة عن جور - بعض - الآغاوات ، أو يظاهروهم العداء ، فيسومونهم سوء العذاب ، لكن ما يجب الإشارة إليه ، أن غالبية علماء الجزائر لم يعارضوا السلطة الحاكمة ، بل وقفوا ضد الثوار ، على اعتبار أنهم شاقين لعصى الطاعة ، و أن طاعة الحاكم من طاعة اللّه ، لأن الثورة لا تجلب سوى الفتن و الأضغان .

فمن آل الفكون والبوني شرقا ، إلى سعيد قدورة و السجلماسي و الثعالبي وسطا وصولا إلى آل المقّري غربا ، لم نجد أسرة علمية و لا عالما يشهد له بالعلم قد دعى للثورة ضد حكام الجزائر - رغم جور بعضهم - أو شارك في ثورة ضدهم ، وإن كان بعضهم قد أنكر إفراطهم في التنكيل بخصومهم ، بل نصحوا للحكام والمحكومين ، كما فعل محمد ساسي البوني ، الذي وجّه رسالة ليوسف باشا مطالبا إياه بالعفو العام عن الثّوار ، مؤكدا عدم الجدوى من اللجوء إلى القوة[17] ، وما كانا لشيخنا الشاوي أن يخرج عن تلك القاعدة الفقهية *والسياسية التي وضعها علماء القرن 11 هـ/17 م الجزائريين لأنفسهم .

المبحث الثاني

لمحة تاريخية عن مسيرة الشيخ يحي الشاوي النائلي بالمشرق العربي الإسلامي : 1074 - 1096 هـ/1663 - 1684 م .

شد الشيخ الشاوي الرّحال سنة 1074 هـ/1663 م إلى المشرق العربي ، و نيته الأولى تأدية فريضة الحج ، وسواء كانت وراء هذا الانتقال دوافع سياسية أو علمية أوروحية - وقد تكون مجتمعة كلها - فإن الجزائر ستفقد بخروجه عالما متميّزا يصعب تعويضه .

إن قلة المصادر التي تتكلم عن حياته في الجزائر ، وشح المعلومات عنه ، جعلت جوانب كثيرة من سيرتة تكسوها الضبابية ، فلم تتكلم المصادر عن سفره ، ما الطريق الذي سلكه* ؟ هل كان مع أسرته ، أم لحقت به هناك ؟ فالعياشي يذكر أنه التقى به سنة 1074 هـ/1663 م بالإسكندرية وكان معه أهله[18] ، وهذا يعني أنه بيّت الاستقرار بالمشرق أوإطالة المكوث هناك ، إلى أن تتأتى ظروف عودته ، وبذلك يكون قد تجنّب ما وقع فيه الشيخ المقّري ، بعدما ما ترك أهله وصار ممزق الروح بين المشرق والمغرب .

والمؤكد أنه وصل البقاع المقدّسة وأدى مناسك الحج ، و لم تتطرق المصادر إلى انه أخذ عن علماء الحجاز

في هذه المرة أو طلب إجازاتهم ، لكنّ عالما بطموح شيخنا الشاوي لن تفلت منه فرصة موسم الحج حيث يلتقي علماء الأمة دون أن يأخذ عنهم ويطّلع على ما عندهم من علوم ، و أمام شح المصادر ، و عدم تدوينه لمحطاته في المشرق العربي ـ كما فعل الشيخ المقّري ـ ضاعت حلقات هامة من حياة هذا العالم الفذ

بعد انقضاء موسم الحج قفل راجعا إلى مصر ـ في نفس السنة ـ وفي هذه المرة يريد الاستزادة من العلم ، و نيل إجازات العلماء ، كما فعل سلفه (الثعالبي والمقّري) وهناك قصد كبار العلماء وشيوخ العلم كالشمس البابلي** ، و النور الشبرملسي وسلطان المزاجي* وقد أجازوه بمروياتهم[18] .

لم يأت شيخنا النائلي دارسا فحسب ، بل معلما ومدرسا ، فقد أخذ عنه أهل مصر علماء وطلبة علوما شتى ، فالرجل كان قبل هذا قد بلغ مكانة علمية تنقطع دونها الرقاب من الحفظ والفهم و الاستذكار ، جعلته من قبل معاصريه محل العجب حينا و الإعجاب أحيانا [19] .

إن ما تؤكده المصادر أنه لم يكن ينوي البقاء في المشرق ، فقد ذكر (العياشي) أن ركب الحج الجزائري قد انطلق من الإسكندرية راجعا إلى وطنه ، في الثاني والعشرين من ربيع الثاني 1074 هـ/1663 م ، لكن الشيخ الشاوي تخلّف عنهم بأهله لاستصعابه المشي في البر ، مع استقبال أيام الشتاء وشدة البرد [20]، وقرّر الرجوع إلى الجزائر عبر البحر ، وبقي ينتظر سفينة تقله ، لكنه في الأخير غيّر رأيه ، و فضّل الرجوع مرة أخرى إلى القاهرة ، و لم تتكلم المصادر عن العامل الطارئ الذي جعله يلغي عودته إلى الجزائر و يغيّر مسار رحلته بهذا الشكل المفاجئ ، و هو من عرف بالإقدام نحو غاياته دون تردد فهل كان مقررا أصلا أن يبقى في مصر ، و ما مجيئه إلى الإسكندرية إلا استرضاء للركب الجزائري ؟ ، أم أن هناك طارئ سياسي أواجتماعي حال دون عودته ؟ ، أم الداعي العلمي ، و كثرة العلماء الذين التقاهم بالأزهر جعلته يركن للبقاء ؟ ، وتبقى كل تلك الاحتمالات واردة ، ما لم تظهر وثائق تاريخية تجلي ذلك الغموض.

وإن كان العياشي قد أشار إلى هذا البقاء للشيخ يحي الشاوي بقوله : (... وكان ذلك لأمر أراده الله به ...) ، فهل يقصد في ذلك أمر خير جاءت به إرادة الله ؟ ، أم غير ذلك * ؟

لكن المؤكد أنه رجع بأهله إلى القاهرة ودخل الأزهر، و اجتمع عليه طلبة العلم المغاربة بالأزهر للتدريس ،فطار له صيت عند المغاربة إلى أن توصل إلى أرباب الدولة و تصدّر للإقراء بالأزهر[21] ، فقرأ الفقه على مصنف خليل معتمدا في ذلك على شرح التتائي* الكبير أو على شرح بهرام** الوسط ، و كلاهما قد حفظه عن ظهر قلب و درّس كذلك شرح المرادي على ألفية بن مالك .

وفي مجال العقائد درّس شروح الإمام السنوسي ، التي سيؤلف فيها حاشية على شرح صغرى عقائد السنوسي ، وفي علوم المنطق ، قرأ على طلبة العلم كتاب نهاية الأمل في شرح الجمل للإمام أبي عبد الله بن مرزوق التلمساني ، واختصره تلميذه أفضل الدين الخونجي .

اتخذ من مصر مقرا و منطلقا لأسفاره ، سواء حاجا ، أو قاصدا بلاد الروم (مقر الخلافة العثمانية) مرورا ببلاد

الشام ، فزار بلاد الشام على الأقل مرتين في طريقه لمقر الباب العالي ، ولم تركّز المصادر على زيارته الأولى التي جاءت حوالي سنة 1081 هـ 1671 م ، بقدر تركيزها على الزيارة الثانية ، التي كانت في ربيع الثاني 1089 هـ 1678 م [22] ، في هذه الزيارة ـ الثانية ـ كان له مجلسا علميا مهيبا بالجامع الأموي فالتقى بعلماء دمشق وشهدوا له بالفضل التام ، و تلقوه بما يجب له ، ومدحه شعراؤها و استجاز منه نبلاؤها ، وكانت له جولات علمية ، ومناظرات مع علماء دمشق أظهر خلالها سموا فكريا ، وقدرة فائقة على المحاججة و الإقناع ، وليس ذلك غريبا على عالم عرف بأنه بارع في الأصول والفروع ، سريع الجواب ، حاد الذهن و الفطنة يسلك من كل باب أراده [23] .

وهناك في دمشق هاجم الفلاسفة القائلين بنفي الصفات عن اللّه تعالى و اعتبرهم زنادقة (وسنعود إلى ذلك في المبحث الخامس)، لكن مع كل ذاك الزاد العلمي و القدرة العلمية والعقلية على الإقناع ، فقد حرص خلال هذه الزيارة على الالتقاء بكبار
العلماء ، و الأخذ عنهم وطلب إجازاتهم ، فأتصل بالشيخ خير الدين الرملي* و أخذ عنه الإجازة ، و كان آخر من أجازهم [24].

تميّز الشيخ النائلي عن سابقيه من علمائنا ـ المقّري و الثعالبي ـ بارتحاله إلى مقر الخلافة العثمانية (القسطنطينية) ، والتي كانت تعرف عند المؤرخين باسم بلاد الروم وقد اختلفت أسباب الزيارتين ، لكنهما أبرزتا المعدن الثمين لهذا العالم الكبير ، و عرفت من خلالهما مكانته بين علماء و حكّام عصره .

كانت الزيارة الأولى سنة 1081 هـ/1671 م **، لكن سبب هذه الزيارة يكتنفه الكثير من الغموض و تطرح الكثير من التساؤلات ، هل كانت زيارته في إطار بحثه المستميت عن العلم وأربابه ؟ ، و ما عرف عن القسطنطينية في ذلك القرن أن رحال طلاب العلم كانت تشد لها ، بل هناك الجاه والسلطان ، و ما عرف عن الشيخ الشاوي ـ رغم قربه من السلطة ـ بأنه استعمل علمه لمدح السلاطين أو التزلف إليهم ، و أمام عدم وضوح الصور فإن رواية (مقيدش) تبقى الأقرب إلى التفسير المنطقي لتلك الزيارة التاريخية للشيخ الشاوي لعاصمة الخلافة العثمانية ، و مفادها أن السلطان العثماني بعث أمرا لفقهاء الأزهر بأن يرسلوا له فقيها مميزا ، لأمر لم يذكره لهم ،(فاجتمع أهل الحل والعقد من فقهاء الأزهر ، ومن جميع المذاهب ، و أرادوا تعيين فقيها يوجهونه للسلطان فكلما طلبوا واحدا امتنع ، فهابوا الأمر ، إذ لم يعرف أحد على ماذا سيقدم ... فاتفق رأيهم على تعيين الشيخ الشاوي ، وقالوا : إن أجاب السلطان عمّا سأله فرجل من فقهاء الأزهر وإن عجز فهو مغربي و لا نقص فينا ...) [25].

ولهذه القصة دلالات بعيدة ، منها أن فقهاء الأزهر على مختلف مذاهبهم كانوا معترفين للشيخ الشاوي بفضله العلمي ، و قدرته على مواجهة الموقف الذي ينتظره عند السلطان العثماني ، و قد شهد له (العصامي) ، وهو أحد معاصريه بتلك المكانة بقوله : (... كانت له قوة في البحث و استحضارا للمسائل الغريبة، و سعة حفظ

مفرطة، وبداهة جواب لا يضل صوب الصواب...) [26] ، ومن ناحية أخرى فإن قبوله لتلك المهمةوالسفارة الغامضة ، دون تردد تؤشر إلى اعتداده بعلومه الجمة ، و ثقة كبيرة في النفس وهو من أدرك بتجاربه ـ خلافا لعلماء الأزهر ـ أن العالم إن قعدت به نفسه فلن ينهض به علمه.

وصل الشيخ النائلي إلى القسطنطينية ، و استقبله السلطان العثماني* ، وكان له موقفا أظهر جرأة وشجاعة أدبية كبيرة ، فقد صافح السلطان على غير عادة علماء عصره الذين يقبلون يد سلاطينهم ، فتكلم بعض من حضر في المجلس ، قائلين هذا سؤ أدب مع السلطان ، (... ففهم مرادهم وقال : يا سيدي السلطان عاملتك بآداب الشريعة المطهرة ...والأدب مع السلاطين هو المحافظة على السنة ، إذ هذا المقام هو الأحق بإظهار السنة وشعائر الإسلام...) [27] ، بعد هذا الموقف كبرت مكانته لدى السلطان ، و حضي عنده باحترام كبير ، وزادت مكانته لما رأى من غزارة علمه و قوة حجته لما اجتمع بالعلماء و تباحثوا في المسائل العلمية بحضرته ، و أجاب عن كل التساؤلات التي طرحت فقرت به عين السلطان ، كما عظّمه مفتي السلطان شيخ الإسلام يحي المنقاري و الوزير الأعظم أحمد باشا الكبرلي [28] .

ذكر (مقيدش) أن السلطان العثماني ولاّه مشيخة الجامع الأزهر ، فكان كذلك إلى وفاته ، ورغم استحقاقه لهذه المكانة العلمية الرفيعة ، و تفوقه على علماء الأزهر في هذا الاختبار الصعب ـ العلمي و النفسي ـ إلا أن المصادر لم تشر إلى ذلك ** ، ومن جهة أخرى ، فإن من شروط مشيخة الأزهر الالتزام بالمذهب الشافعي .

غادر الشيخ الشاوي بلاد الروم عائدا إلى مصر مرة ثانية ، مبجّلا معظّما مهابا موقّرا [29] ، فتولى التدريس بأكبر مدارسها ، كالأشرفية ، والسليمانية ، الصرغتمشية * و واصل التدريس بالجامع الأزهر ، بعدما صار محط أنظار علمائه ، وقبلة لطلاب العلم واخترقت أخباره الآفاق ، بعد تلك المواقف الجريئة مع السلطان العثماني .

خلال تسع سنوات مكثها بمصر(1081 ـ 1089 هـ/1670 ـ 1678 م) انكبّ على الإقراء و التأليف و التدريس ، فكان كما وصفه تلميذه العصامي : (... في تدريس علم العقائد دونه السيل الهدّار ، والعباب الزاخر التيار، يملي في وجوه إعراب كلمة التوحيد أربعمائة وخمسين وجها بالتعديد ، فسبحان مفيض ما شاء على من شاء ...) [30] وتولى قضاء المالكية ، و ارتفعت مكانته إلى أن تقلّد مرتين إمارة ركب الحج المغربي المتوجه من مصر إلى البقاع المقدّسة .

رجع مرة ثانية إلى بلاد الروم (القسطنطينية) سنة 1089 هـ/1678 م وعند وصوله لقي حسن الضيافة والتبجيل عند مصطفى باشا صاحب السلطان محمد وانزله بداره وهناك وفد عليه الأدباء و طلاّب العلم ، منهم نخبة من علماء دمشق كانوا متواجدين هناك أمثال الشيخ محمد الأمين المحبي ، و التمسوا منه القراءة في فنون شرعية مختلفة فأقرأهم تفسير سورة الفاتحة بحاشية العصام على البيضاوي ومختصر المعاني على حاشية الحفيد و خطائي ، وألفية بن مالك في النحو ، وبعض شروح الدواني على العقائد العضدية و أجازهم إجازة نظمية [31] ، مع كل من حضر مجلسه من أهل العلم

عاد إلى مصر من جديد ليعتكف على التأليف ، ويكرّس حياته للتعليم و التدريس لكن يبدو انه في هذه المرحلة الأخيرة سيعاني من عدة جبهات ، فالرجل صار محسودا على مكانته العلمية ، و حضوته عند السلطان ـ و لا يحسد الحسّاد إلا من ساد ـ فمن جهة كان كثير الانتقاد لأهل عصره ، و يرى في انتقادهم نيل الأجر والمثوبة من اللّه سواء من الفلاسفة الذين ينفون الصفات ، أو من المتصوّفة * ، و أهل البدع و لكون العياشي من أهل التصوف فقد ذكر على لسانهم بأن الشيخ الشاوي كثر مادحوه وأكثر منهم ذاموه [32] .

أما الجبهة الأخرى التي واجهها في سنواته الأخيرة ، فهي انقلاب أهل مصر عليه حكاما وعلماء ، فقد جرّد من وظائفه ، بما فيها التدريس في المدارس الرسمية ، و يرجع بعض المؤرخين هذا الانقلاب إلى انه عند ما رحل إلى القسطنطينية سنة 1089 هـ ، لم يرفع مكانة أولئك الحكام عند السلطان ، و لم يرد ـ على حد زعمهم ـ الجميل إلى من تتلمذ عنهم ، و انه أخذ كثيرا من وظائف علماء مصر أثناء إقامته بها [33]، لكن الأسباب الحقيقية لهذا التغيير بين حكام و علماء مصر تجاه الشيخ الشاوي تبقى غامضة فمصادرنا في هذه التأويلات من خصومه ، و على رأسهم محمد بن رسول البرزنجي ** الذي ناصبه العداء واتهمه اتهامات لا تليق بالعلماء المبجلين ، أمثال الشيخ الشاوي النائلي ، أو من عبد اللّه العياشي الذي خاصمه لمهاجمته أهل الباطن واتهمه بأن كل ما حدث له بمصر ناتج عن حبه للتصدّر و الرئاسة بقوله : (... إلا أن الرئاسة إذا سكنت قلب إنسان لا تقصر به عن ذهاب رأسه ...) [34]

لقد سجّل لنا القرن 11 هـ/17 م صورتان تكاد تكون متشابهتان ، بين ما حدث للشيخ الشاوي في نهاية عمره بمصر ، و ما حدث للشيخ المقّري قبله ، بعدما قاطعه علماء وعامة مصر في آخر حياته ؟ فهل كتب على علماء الجزائر خلال هذا القرن أن يعانوا من آهات الهجرة ، و أن يدفعوا ثمن تفوقهم العلمي بالإقصاء و المقاطعة في بلاد الأزهر ؟ .

قصد في آخر أيامه الحجّ عبر البحر الأحمر ، فمات وهو في السفينة يوم الثلاثاء 10 ربيع الأول 1096 هـ/09 فيفري 1685 ، وذكرت المصادر أن الملاحين أرادوا إلقاءه في البحر لبعد البر عنهم ، فهبت عليهم ريح شديدة ، قطعت شراع السفينة فقصدوا البر وأرسوا بمكان يسمى رأس أبي محمد فدفنوه هناك ، ولما وصل الخبر ابنه عيسى انتقل إلى المكان ، ونقله إلى مقبرة القرافة الكبرى بتربة السادة المالكية [35] ، التي كان قد رممها قبل ذلك ، ولم يلبث ابنه عيسى أن مات بعده بحوالي ستة أشهر ودفن في نفس المقبرة .

المبحث الثالث .

الدور الثقافي للشيخ الشاوي في المشرق العربي من خلال مؤلفاته .

ترك الشيخ الشاوي النائلي العديد من المؤلفات ، في مجالات علمية مختلفة ، كعلم التوحيد و النحو و الفقه و التفسير و غيرها ، و شكلت مساهمة كبيرة وفاعلة في الحياة الثقافية بالمشرق العربي والإسلامي ، ورغم ما عرف عنه من قوة الذاكرة و التبحر في علوم اللغة و الفقه ، حتى وصفه (علي النوري الصفاقسي)، بأشعري

الزمان و سيبويه الأوان (36) ، و ذكر أن طلبة العلم كانوا يصححون نسخهم على حفظه ، لكن مع ذلك تبقى مؤلفاته قليلة بالنظر لموسوعيته العلمية ، و الشهرة الكبيرة التي نالها ، حتى صار أبرز علماء القرن الحادي عشر في كل العالم الإسلامي ، وسنقف عند مؤلفاته في المحطات الآتية .

أ/مؤلفاته في مجال العلوم الشرعية .

01 ـ المحاكمات بين أبي حيّان وابن عطية و الزمخشري [37] .

هو تأليف في التفسير أنجزه بمصر ، و جمع فيه اعتراضات أبي حيّان الأندلسي من خلال كتابه تفسير البحر المحيط ، على تفسيري : ابن عطية المسمى : المحرّر الوجيز في تفسير كتاب اللّه العزيز ، و الزمخشري صاحب تفسير : الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ويظهر الشيخ الشاوي في هذا الكتاب معلقا ومعقبا، ومرجحا لقول على آخر ، فهو علاّمة وقف مع هؤلاء الثلاثة موقف الند ، وإن كان يميل إلى آراء ابن عطية ، ويكون حادا مع الإمام الزمخشري ، كونه معتزلي والمؤكد أن هذا التفسير كان مشبعا بالآراء العقلية و النقلية ، قاصدا منها فهم القرآن في ضوء مصالح المسلمين في وقته [38] .

استطاع الشيخ الشاوي أن ينجز هذا المؤلف المكوّن من 316 ورقة ، في ظرف شهر ونصف فقط وفي ذلك يقول : (... هنا انتهى ما لتقطناه ، وتكلمنا على ما ظهر لنا مما أبدينا في منسلخ رمضان ، وابتداء وسط شعبان ، لمؤلفه يحي الشاوي المغربي لسنة تؤخذ من اسمه ولقبه) * .

02 ـ توكيد العقد فيما اخذ اللّه علينا من العهد [39] .

هو تأليف من 214 ورقة في علم الكلام أو (العقيدة) ، أتمه بمصر سنة 1077 هـ/1666 م ، منطلقاته فلسفية ، أكد فيه صفات اللّه تعالى ووحدانية ، دون تجسيم ولا تعطيل ، ورد عن المعتزلة الذين يقولون أن العبد يخلق أفعاله بنفسه ، وقالوا بفكرة التجسيم و الاتحاد كما رد فيه عن الفلاسفة القائلين بنفي الصفات عن اللّه تعالى ، مستندا في ذلك إلى أقوال الشيخ السنوسي في العقيدة .

03 ـ حاشية على شرح أم البراهين [40] .

هي شرح للعقيدة الصغرى للإمام السنوسي في علم الكلام ، وذكر (عبد الملك العصامي) أن شرحها جاء في نحو عشرين كراسا ، تناول فيها قضية التوحيد ، وفق ما يراه الشيخ السنوسي ، ووفق عقيدة أهل السنة والجماعة ، بعيدا عن تأويلات المعتزلة وآراء الفلاسفة ، وهناك من المؤرخين من يرى أن كتاب (توكيد العقد) هو شرح ضاف لصغرى العقائد السنوسية .

04 ـ النبل الرقيق في حلقوم السّاب الزنديق [41] .

أخذ هذا الكتاب طابعا فلسفيا ، ألفه الشيخ الشاوي بمصر سنة 1092 هـ/1681 م تقريبا رد فيه عن آراء نور

الدين إبراهيم بن حسن الكوراني ، و أتهمه بإتباع آراء المعتزلة و القول بالإتحاد ، بزعم أن اللّه موجود في كل جرم، واستنقاص الرسل ، و حكم عليه بالكفر ، و أوجب قتله ، وقد يكون المقصود من قول (الأفراني) : (... بلغه أن بعض الفقهاء بالمدينة المنورة أنشأ محرابا في المسجد النبوي ، فذهب إليه من مصر بنية قتله فأدركته المنية في الطريق ...) [42] .

بدأ الشيخ النائلي كتابه بقوله : (أيها الموفقون و العصابة المحققون ، إن أهل الدين وخصوصا أهل المغرب ، لهم غيرة على نفي الاعتقاد في الأولياء و الزهاد ...) [43] و اتهم عبد اللّه العياشي بجهل علم المعقول ، و اغتراره بتقشف وتصوف الكوراني ، وهو من نقل أفكاره إلى بلاد المغرب و أفسد عقيدة المغاربة .

انتصر محمد بن رسول البرزنجي لشيخه الكوراني بكتاب سماه : (العقاب الهاوي على الثعلب العاوي ، و النشّاب الكاوي للأغشى الغاوي ، والشهاب الشاوي للأحول الشاوي)* ، ويظهر من خلال كتاب الشيخ الشاوي ، ورد البرزنجي مدى الصراع المحتدم بين المدافعين عن علوم الظاهر والمدافعين عن علوم أهل الباطن وكيف كان الشيخ الشاوي متبعا و منافحا عن منهاج أهل السنة ، في وقت ساد فيه التصوف ـ المغالى فيه ـ جميع مظاهر الحياة الإسلامية مشرقا ومغربا .

05 ـ التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية .

وهي أجوبة عن عدة أسئلة وردت عليه في مسائل العقيدة ، يرجح أنها من شيخ الإسلام ، أو الصدر الأعظم بالقسطنطينية ، وقد استعمل في هذه الإجابات النص الشّرعي و العقل معا ، مبتعدا عن الجمود النصي ، الذي طالما تمسك به علماء عصره ، و من الأسئلة التي طرحت علية : (هل خلق اللّه للعالم دفعة واحدة جائز كما هو في العقيدة أم مستحيل كما توهمه بعض الطلبة ؟ و أسئلة أخرى عن التقليد في الدين و الاجتهاد . وتمكن من الإجابة عن كل الأسئلة في ظرف يومين ، وضمنها في حوالي خمسين صفحة بعد اطلاعه على الكثير من الدواوين في ظرف قاسي .

06 ـ فتح المنان في الأجوبة الثمان .

هي أجوبة عن مجموعة أسئلة في علم التوحيد ، و قد تكون هي نفسها (أجوبة الشاوي السابقة التي سميت بالتحف الربانية) [44] .

07 ـ قرة العين في جمع البين [45].

لم يتطرّق المؤرخون إلى فحوى هذا المؤلف ، لكنه يدخل في (العقيدة) أو علم الكلام ، الذي كان قدر ركّز عليه في مؤلفاته ، نظرا لانتشار المعتقدات الفاسدة عند الفلاسفة أو المعتقدات الخرافية الصوفية ، أو أفكار المعتزلة المؤولة و المجسّمة .

ب/مؤلفاته في مجال علوم اللغة العربية .

01 ـ رسالة في أوصول النحو .

وضعها على نمط السيوطي في كتاب الاقتراح ، حيث قرّب فيها بين كليات الأصلين : أوصول الفقه ، و أوصول النحو[26] ، و أتى فيه بكثير من الغرائب النحوية وجعله باسم السلطان محمد الرابع ، و قرّظ عليه علماء القسطنطينية منهم : شيخ الإسلام يحي المنقاري ، و ذكر (عبد الملك العصامي) ـ تلميذ الشيخ الشاوي ـ أنه اطلع على هذا التقريظ بخط الشيخ المنقاري ، و جاء فيه : (... لا يخفى على الناقد البصير أن هذا التحرير كنسيج الحرير، ما نسج على منواله ناسج في هذه العصور ، في النحو ناح لطيف بمطالعته تنشرح الصدور وتتلذذ الأرواح .) ، و الراجح أنه ألّف هذه الرسالة أثناء رحلته الثانية إلى القسطنطينية ـ 1089 ، 1090 هـ/ 1678 ، 1679 م ـ وهناك قرّضها له الشيخ المنقاري ، و أهداها للسلطان محمد الرابع ، وليس غريبا أن يكون قد ألفها خلال سنة ، لأنه قد وعى علوما شتى .

02 ـ نظم لامية في إعراب اسم الجلالة [47] .

جاء في شكل نظمي قافيته لامية ، سماه (الدر النضيد في إعراب كلمة التوحيد) جمع فيه أقوال النحاة ، وشرح اسم الجلال شرحا وافيا ، وصار محط إعجاب لكل نحاة عصره وكذا المتأخرين .

03 ـ شرح على التسهيل لإبن مالك [48].

نظم شرح فيه ألفية ابن مالك في النحو ، و أبدع في تصحيح بعض القواعد النحوية منها تصحيح بيت في باب (أن الناصبة) عند قول الناظم :

وإن تخفف (أن) فإسمها استكن و الخبر اجعل جملة من بعد (أن) .

فأصلحه الشيخ الشاوي بقوله :

و إن تخفف (أن) فإسمها حذف و الخبر اجعل جملة كما وصف [49].

04 ـ ارتقاء السيادة لحضرة شاه زادة [50] .

ألفة باسم السلطان محمد الرابع العثماني ، لكن لم نجد المصادر قد أشارت إلى إي لون فني أو علمي ينتمي هذا الكتاب ، و ذكر (البغدادي) أنه قد ألفه باسم السلطان محمد بن إبراهيم خان العثماني ، فهل هو كتاب ثاني قد أهداه الشيخ الشاوي للسلطان ؟ أم هو نفسه (رسالة في أوصول النحو) التي أشارت لها المصادر ، و التي أهداها للسلطان محمد الرابع ؟ هذا ما لم نتأكد منه مع شح المعلومات عن هذا التأليف ، وتبقى دور الأرشيف الإسلامية و الغربية وحدها تبوح بتلك الحقائق ، إذا ما وجدت من يستنطقها .

05 ـ حاشية على شرح المرادي[51] .

تأليف في علوم النحو ، يعد من بين أضخم المؤلفات النحوية التي وضعها الشيخ الشاوي على شرح المرادي ، وقد حويت 672 صفحة ، و الأكيد أنها أخذت منه جهدا ووقتا كبيرين كان بإمكان عالما متفردا مثله أن يستغلها بإبداعات جديدة في علوم المنطق والفلسفة ، وغيرها من العلوم التي أتقنها .

لقد استغرق سنوات طويلة في شرح الشروح ، و تحشية الحواشي ، خاصة في الفقه و النحو ، ومن أهم ما أشار إليه المؤرخون في هذا المجال : (حاشية على شرح التتائي الكبير ، حاشية على شرح الدماميني ـ كلاهما لم تكتمل ـ حاشية على شرح الاجهوري ، حاشية على شرح عصام ، الكافية لابن الحاجب ، حاشية على شرح عصام للاستعارات ، و شرح على مقامات الحريري ، ومؤلف في معنى (أي) سماه إلحاق العي بفهم معاني (أي) .

لقد ألّف الشيخ النائلي ما يقرب من عشرين مصنفا بالمشرق العربي الإسلامي وشملت الفقه و علوم اللغة العربية و علوم العقيدة و الفلسفة و غيرها ، وكان فارسا لا يشق له غبار ، كما وصفه تلميذه (العصامي) (إمام المعقول والمنقول ، و الفحل الذي لا يبارى في فنون العلوم ...)[52] ، لكنّه لم يفجّر تلك الطاقات في ميادين علمية جديدة كان بإمكانه الإبداع فيها ، و لو أنه استغلّ علمه الغزير و نقده الآذع في مجالات أخرى مثل الفلسفة و المنطق ، و نقد العصر و أهله لكانت استفادة أجدى للأجيال اللاحقة ، لكن قد يكون جار عليه عصره ، الذي اشتهر بعصر الحواشي والشروح ورغم كل تلك الظروف إلا انه يبقى موهبة نادرة في الكتابة والتأليف ، و أحد عمالقة القرطاس و القلم الذين عرفهم المشرق العربي خلال القرن 11 هـ/17 م

لكن ما يحزن ويدمي الفؤاد ، أن الشيخ الشاوي مات غريبا وبقي ميراثه المكتوب كذلك ، فلم يطبع أو يحقق له أي كتاب ـ إذا ما استثنينا المحاكمات ـ و بقيت كل مؤلفاته غريبة الديار ، و موزعة بين اسطنبول و القاهرة ، أو عند جيراننا في المغرب و تونس و تخلو مكتباتنا ودور أرشيفنا الجزائرية من أي مخطوطة تنصف عالما بايعه سلاطين وعلماء عصره على الإمامة العلمية .

المبحث الرابع .

الدور الثقافي للشيخ يحي الشاوي النائلي في المشرق العربي من خلال إجازاته للعلماء .

تتلمذ على يديه في المشرق العربي خلق كثير ، و صاروا علماء ، وألّفوا أسانيد كثيرة في مختلف العلوم ، ذكروا فيها فضل شيخهم الشاوي عليهم ، وبقي سنده متصل بينهم على مر العصور .

عرف عنه المواظبة على التعلّم والتعليم ، والتفاف طلاّب العلم حوله طالبين علمه و إجازاته ، شاهدين له بالسبق و الفضل ، و على مختلف مذاهبهم ، وإذا كانت المصادر التاريخية قد حفظت للشيخ المقّري إجازاته لعلماء المشرق العربي نثرا ونظما فأن شيخنا النائلي قد أجحف حقه في ذلك ، وحتى الكثير من الذين أجازهم أشاروا فقط في مؤلفاتهم لتلك الإجازة من أمثال ، عبد الملك العصامي ، وأبي المواهب الحنبلي و غيرهما ، ولم يشذ

عن هذه القاعدة سوى الأمين المحبي الذي أورد نص الإجازة كاملة.

ما يلاحظ على إجازات الشيخ الشاوي في المشرق العربي أن اغلبها منحت للعلماء الشاميين ، رغم بقائه في مصر ما يقارب اثنين وعشرين سنة ، ولم تكن إقامته بالشام إلا أياما أو شهور ـ على ابعد التقديرات ـ حين كان يعبرها قاصدا أو قادما من القسطنطينية .

فهل إغفال إجازات الشيخ الشاوي للعلماء المصرين مردها إلى المصادر ـ خاصة المصرية ـ التي أغفلتها ؟ أما أن علماء الأزهر ـ من غير المغاربة ـ لم يكونوا يطلبون الإجازات من علماء المالكية على اعتبار أنهم أحناف ؟ و لماذا كثرت إجازات الشيخ الشاوي للشاميين على اختلاف مذاهبهم ؟ الم يكن الشيخ النائلي فحلا في علوم المنطق والعقيدة و اللغة العربية التي لا تخضع لمذهب فقهي !

لكن قد يكون التفسير في كل ذلك أن اغلب مؤرخي القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين من الشاميين* ، الذين ركزوا على علماء الشام و إجازاتهم ، وأغفلوا غيرهم و تبعهم في ذلك مؤرخوا القرون المتأخرة .

أ/نماذج من إجازاته لعلماء الشام .

ـ إجازة الشيخ محمد بن تاج الدين الرملي **.

لمّا مرّ الشيخ الشاوي بالرملة في طريقه للقسطنطينية سمع منه الرملي الحديث المسلسل بالأولية ، وقرأ عليه طرفا من الكشّاف و غيره ، وأجازه وولده بمروياته ، ومما جاء في تلك الإجازة المنظومة :

أجزت أخانا الفاضل العلم الذي تسمّى بمن في الناس في الحشر ينفع .

ونجلا له و اللّه ينجح قصده أبا للهدى و الشخص بالاسم يرفع .

وقال بذا يحي و نجل محمد ومن مغرب الأوطان و اللّه ينفع. [53]

ـ إجازة أبي المواهب الحنبلي **.

لما قدم الشيخ الشاوي الشام ـ في المرة الثانية ـ حضر أبي المواهب لدروسه في علوم العربية و الكلام و المنطق و التصوّف ، وقرأ كتاب الحكم لإبن عطاء اللّه السكندري وقرأ عليه أيضا التسهيل في العربي لابن مالك ، فأجازه و من حضر معه بسائر مروياته .

ـ إجازة الشيخ محمد الكفيري ***.

أجازه بأسانيده و مروياته في الفقه ومصطلح الحديث عن مشائخه في كتب الموطأ للإمام مالك و صحيح البخاري ، وغيرها [54] .

ـ إجازة الشيخ تقي الدين الحصيني* .

أجازه بنفس الإجازة التي منحه إياها شيخه محمد السعيدي البهلول ، في أن يروي عنه الكتب الثلاثة (صحيحي

البخاري و مسلم ، وموطأ مالك) ، وكتاب الشفا و مما جاء في نص الإجازة : (أجزت الفقيه النبيه ، السيّد تقي الدين الحصيني ، في هذه الكتب الأربعة وغيرها بهذه الأسانيد وغيرها ، قال ذلك كاتبه يحي الشاوي المغربي لطف الله به) [55] .

- إجازة الشيخ محمد الأمين المحبي (ومجموعة من علماء الشام) .

أثناء زيارة الشيخ الشاوي الثانية للقسطنطينية - 1089 ، 1090 هـ/1678 1679 م - تواجد هناك نخبة من علماء الشام ، والتمسوا منه القراءة و الإجازة ، منهم أبو الإسعاد ابن الشيخ أيوب** ، الشيخ زين الدين البصري***، و الشيخ عبد الرحمان المجلد *4 والشيخ أبو المواهب سبط العرضي الحلبي *5، واستجاب لطلبهم ، فقرؤوا عليه سورة الفاتحة من (تفسير البيضاوي) ، وحاشية العصام ، ومختصر المعاني وحاشية الحفيد ، وحاشية الخطائي و ألفية بن مالك ، وبعض شروح الدواني على العقائد العضدية وأجازهم جميعا بإجازة منظومة (1) .

نقل لنا الشيخ المحبي إجازته كاملة من 15 بيتا ، بأن يروي عنه كل ما يصح عنه من العلوم الشرعية ، وعلم الكلام ، البعيد عن تظليل الفلاسفة الذين اتهمهم بمعاداة الشرع كونهم نفوا الصفات عن الله تعالى ، وأن العبد يخلق أفعاله بنفسه .

وجاءت نص الإجازة كالآتي :

الحمد لله الحميد و الصلاة والسلام على الطاهر المجيد و على آله أهل التمجيد .

أجزت الإمام اللّوذعي المعبرا أمينا أمين الدّين روحا مصوّرا .
سليل محبّ الدين بيت هداية وبيت منار العلم قدما تقرّرا .
بإقرائه متن البخاري الذي به تقاصرت عنه من عداه وقصّرا .
موطأ شفاء و الشفاء لمسلم إذا مسلم تقريه حقا تصدّرا .
وباقي رجال النّقل حقا مبيّنا وتفسير قول الله في الكلّ قرّرا .
أجزت المسمّى البدر في الشرع كلّه كما صحّ لي فاترك مراء مكدّرا.
و علم كلام خال عن أكاذب الـ فلاسفة الضّلال والعدل نكّرا .
أقول لكل فلسفيّ بدينه ألا لعنة الرّحمن تعلوا مزوّرا .
...أبري الحبيب اللّوذعي عن الردى مجازا بدين الشّرع كلا محرّرا .
ولكن عليه النّصح و الجدّ و التّقى و لإن ناله أمر القضاء تصبّرا .
حماه إله العرش من كل فتنة ونجّاه من أسواء سوء تسترا .
وصلّ و سلّم بكرة وعشية على من به أحيا القلوب تحيّرا [56].

ـ إجازة الشيخ عبد الرحمن الشامي * .

منحه هذه الإجازة بالقسطنطينية ـ وهو الرأي الراجح ـ فقد ذكر في إجازته له خلال (البيت السابع) أنه لما أجازه كانا كليهما بديار الغربة ، ولم يذكر المؤرخون المعاصرون له انه قد أجاز أي عالم ـ شامي ـ بالقسطنطينية غير أولائك العلماء الذين أشرنا لهم سالفا وكان من بينهم الشيخ عبد الرحمن المجلد ، وهذا مؤكد انه نفسه الشيخ عبد الرحمن الشامي ، وكانت الإجازة بأن يروي عنه صحيح البخاري و موطأ مالك وصحيح مسلم وكتاب الشفاء ، و ما له من فقه و نحو و علم كلام ، ومما جاء في إجازته له :

أجزت الذكي اللوذعي المعظما بكل الذي لي من على متمما .
بخاري و موطى مسلم وشفاينا وفقه ونحو وكلام و ما أنتما
وأصل لفقه و الحديث وكل ما تفسره الأعلام درا منظما .
لأن كان أهلا للإجازة حيثما بدا ذهنه الوقّاد أو قد تكلما .
فيا عابد الرحمان خذها مدنية مفتحة الأبواب للخير مغنما .
و حبلك منّا وصله و اتصاله بمن فاق فوق الكل خيرا معلما.
أجزتك يا شامي الديار بغربة وكل غريب من غريب تعظما .
تمنطق بنحو جالسا ومحدثا وفسّر بفقه الدّين والدّين عظما . (57)

ـ إجازة الشيخ سليمان المحاسني* .

في طريقة للقسطنطينية ـ في المرة الثانية ـ مرّ الشيخ الشاوي على دمشق وعقد مجلسا علميا بالجامع الأموي ، واجتمع إليه علماؤها ، و استجاز منه نبلاؤها ، و كان من جملة الحاضرين الشيخ سليمان المحاسني ، الذي قرأ عليه أوائل متن التوضيح وأوائل الجامع الصحيح للبخاري ، و أجازه بمروياته ، وبالمصافحة المتصلة إلى النبي صلى اللّه عليه وسلّم (58).

ـ إجازة مجموعة من علماء دمشق .

ذكر (خليل المرادي) عدد كبير من علماء الشام الذين أجازهم الشيخ الشاوي في المشرق العربي ، وقد أشار إلى تلك الإجازة دون أن يطلعنا على فحواها ، لكنها في العموم لا تخرج عن المجالات العلمية التي أتقنها الشيخ النائلي ، كالفقه و الحديث و النحو و علم الكلام ، و من أولائك العلماء الذين أجازهم : الشيخ إلياس بن ابراهيم الكردي ** الشيخ ابراهيم بن حمزة الحراني *** و الشيخ محمد العمادي الدمشقي * .

ب/ نماذج من إجازاته للعلماء بمصر .

سبقت إشاراتنا إلى أن الشيخ يحي الشاوي قد جلس للتدريس سنوات طويلة في الأزهر والمدارس المصرية ، لكن العلماء الذين أثبتت المصادر إجازاته لهم يعدون على الأصابع ، مما أدخلنا في تساؤلات وتفسيرات كثيرة ،

ويبقى الراجح أن شح المصادر التي كتبت عنه هناك ، وعدم تركه لمؤلفات حول الأحداث الكبرى التي مرت به و من أجازهم من العلماء ، كل ذلك يجعل مشهد مسيرته العلمية بمصر يكتنفها الكثير من الغموض ، وقد ينجلي ذلك الغموض بالبحث في تراثه المخطوط والمغمور في دور المخطوطات الغربية والإسلامية ، وسنرد نماذج من العلماء الذين أجازهم بمصر سواء كانوا من المصريين أوالمغاربة أو الحجازيين .

- إجازة الشيخ علي نور السفاقسي** .

قرأ عليه بالجامع الأزهر و أجازه سنة 1078 هـ/1667 م ، بما يرويه عن مشايخه المغاربة ، وهي موطأ الإمام مالك ، و كتاب الشفا للقاضي عياض ، و صحيحي البخاري ومسلم ، وحزب البحر وكتب الشيخ السنوسي وغيره. وقد ذكر الشيخ علي النوري أنه لما كتب له الإجازة قال : (مؤرخة بمجموع الاسم واللقب ، فعددت حروف يحي الشاوي ، فوجدتها ثمانية وسبعين و ألف*** ، وذلك هو التاريخ)[59] .

- إجازة الشيخ ابراهيم الفيومي*4.

من العلماء المصريين القلائل الذين نالوا إجازة الشيخ الشاوي ، ورغم عدم اطلاعنا على نوع الإجازة ، إلا أنها لم تخرج عن المجالات العلمية التي أجاز بها الشيخ الشاوي علماء المشرق ، في النحو و علم المنطق ، ورواية الصحيحين في الحديث .

ج/نماذج من إجازاته لعلماء الحجاز .

حجّ الشيخ الشاوي النائلي الكثير من المرات ، فزار الحرمين الشريفين ، ولم تشر المصادر انه قصد الحجاز في غير مواسم الحج ، ومن المؤكد أن تلك المواسم المقدسة شكلت له الفرص المناسبة لطلب العلم ، وفي ذات الوقت أتاحت لطلاّب العلم فرص الاستفادة من علومه ، و طلب الإجازات منه ، خاصة وانه مثّل ركب الحج المغربي مرتين على الأقل ، مما يعني أن أعين العلماء وطلبة العلم ستشد إليه ، على اعتبار أن تلك المكانة لا ينالها إلا عالما ضالعا في العلم ، و فقيها يفتى لركب الحج في مختلف القضايا الفقهية ويجتهد فيما لا نصّ فيه ، وتلك مندوحة تميز بها شيخنا النائلي ، موافقا بين العقل والنقل لكنّ مصادرنا المكتوبة و حتى ما كشف من المخطوط لم يتناول ما قدمه من علوم وإجازات في بلد الحرمين ، وسنقف فيما يأتي عند نماذج من إجازاته لعلماء الحجاز .

- إجازة الشيخ عبد الملك العصامي .

التقى به في آخر مرة يحج بها الشيخ الشاوي ، وقد تكون سنة 1095 هـ 1684 م ، فقرأ عليه متن السنوسية في علم العقائد ، وأجازه بمروياته ، ومما جاء في كلام العصامي عن شيخه : (... قرأت عليه ليالي الموسم آخر حججه ، متن السنوسية في علم العقائد فكان في تقريره دونه السيل الهدّار ، والعباب الزاخر التيّار ...)[60] .

- إجازة الشيخ احمد النخلي .

تلقى الإجازة في جميع ما يرويه الشيخ الشاوي وفي مؤلفاته ، ومما ذكره الترجيح فيما للبخاري من الصحيح ، وحاشية التسهيل لابن مالك ، و شرح الألفية ، وفيما له من علم الكلام وغيره .

المبحث الخامس .

الدور الثقافي للشيخ الشاوي في المشرق العربي من خلال نشاطاته العلمية و الأدبية : (الدروس ، الشعر ، الآراء الفقهية) ،

مثّل الشيخ الشاوي النائلي منارة علمية وثقافية كبيرة أضاءت دروب المشرق العربي خلال العقد الأخير من القرن 11 هـ/ 17 م ، فكان بحق إمام المعقول و المنقول والفحل الذي لا يبارى في فنون العلوم ، و السابق الذي لا يباريه أحد في مضمار المنطوق والمفهوم .

أثنى عليه العلماء في قرنه و كل القرون اللاحقة ، ومدحه بالعلم حتى خصومه ومناوؤه فهذا العياشي ـ المناوئ له ـ يصفه بالنجابة و المعرفة بعلوم النحو وغيرها ، وبالمواظبة على العلم والتعلّم [61] .

كانت له نشاطات علمية وثقافية بين مصر والشام والحجاز ـ زيادة على ما سبق ـ تمثلت في دروسه العلمية بالمساجد والمدارس ، و النقاشات الفكرية (الفلسفية) والفتاوى و الآراء الفقهية ، إلى جانب نماذج شعرية في بعض الفنون العلمية .

ففي مجال التدريس شهدت له المصادر التاريخية بالاقتدار ونيله قصب السبق على أغلب علماء عصره ، ومعاصره (المحبي) خير من عبّر عن تلك المكانة التي وصلها في التفوّق كعالم ومدرّس ، بقوله : (... هو في الفقه إمامه ، ومن فمه تؤخذ أحكامه وأما الأصول فهو فرع في علومه ، و المنطق مقدمة من مقدمات مفهومه ، وإن أردت النحو فلا كلام فيه لأحد سواه ، وإن اقترحت المعاني و البيان فهما أنموذج مزاياه ... وإن جرت الحروف على لسانه وفّق بين المعقول و المنقول ...) [62] .

بدأت مسيرته التدريسية أول ما نزل بمصر سنة 1074 هـ/1663 م ، فقد جلس للتدريس بالجامع الأزهر ، فأقرأ الفقه على مختصر خليل ، وشرح المرادي على ألفية ابن مالك في النحو ، ودرّس العقائد على شروح السنوسي ، وكان له نصيب كبير من تدريس علوم المنطق التي صار حجة فيها ، بعدما اتقنها في الجزائر عن شيخه الثعالبي ، أمام هذا السيل المتدفق من العلوم العقلية و النقلية اجتمع حوله طلبة العلم و خاصة المغاربة واستفاد من علمه خلق كثير ، ونال رتبة الإفتاء والقضاء على المذهب المالكي * .

عقد مجلسا علميا مهابا بالجامع الأموي بدمشق في ربيع الثاني 1089 هـ/افريل 1678م و اجتمع إليه علماؤها، وألقى العلوم في الحديث و التفسير و التصوّف وعلوم العربية ومن الدروس العامة والخاصة ، وشهدوا له بالفضل التام وتلقوه بما يجب له وطلبوا إجازاته ، ومدحه شعراء دمشق ، وذكر (ابن عبد الباقي) أنه قد حضر دروسه بالشام قرب مقام نبي الله يحي عليه السلام في علوم العربية مثل التسهيل لإبن مالك وعلم الكلام والمنطق والتصوّف ، وقرأ على الناس كتاب الحكم لإبن عطاء الله السكندري [63] .

كان يعقد دروسا في ألفية بن مالك في أول النهار بالمنزل الذي أقام فيه ، وبعد الظهر يعقد مجلسه بالجامع الأموي ، ليدرّس الحكم العطائية ، وبعد العصر يدرّس النحو (في التسهيل) ، ودروسا بعد المغرب في العقيدة (على شرح الإمام السنوسي) ويظهر من ذلك أن الشيخ الشاوي كان يملأ كل وقته بالعلم والتدريس ملبيا رغبات طلاب العلم وفي كل الفنون العلمية.

على طول رحلته من مصر إلى القسطنطينية كان معلما ومدرسا ، فقد ذكر (مقيدش) بأنه أخذ معه تلاميذه في إحدى رحلاته** من مصر إلى القسطنطينية ، ولم يفارق في طريقه الدروس إلى أن بلغها ، وهناك حضر الدرس الذي يجتمع فيه العلماء للبحث بحضرة السلطان ، فبحث معهم و أظهر تفوقا عظيما وتبحرا في العلم منقطع النظير ، وظهر للعلماء وذوي السلطان فضله ، فأجلّوه لمكانته العلمية ، والعلم دائما يصون وينهض بذويه على حد قول الشاعر :

فلو أنّ أهل العلم صانوه صانهم ولو عظّموه في النّفوس لعظّما [64].

لم تكن للشيخ الشاوي شاعرية قوية تفتح أمامه أبواب الأمراء و السلاطين ـ كما كانت للشيخ المقّري ـ بل ساعده في ذلك علمه الغزير وشخصيته الفذة ، و جرأته الكبيرة

في أصعب المواقف ، ومن خلال تتبعنا لمسيرته مغربا ومشرقا لم نجد إلا النزر اليسير من القصائد الشعرية التي استعملها أحينا في الإجازات ، أو في الإجابة عن القضايا الفقهية أو التلغيز وغيره ، وسنقف عند نماذج من عطائه الثقافي في مجال الشعر في المحطات الآتية :

ـ عند إجازته لعلماء الشام بالقسطنطينية هاجم الفلاسفة لقولهم بنفي الصفات عن اللّه تعالى فقال :

أقول لكلّ فلسفيّ بدينه ألا لعنة الرحمن مزوّرا .

أجبريل مفلك عاشر يا عداتنا أعادي شرع اللّه نلتم تحيّرا.

بأيّ طريق قلتم عاشر عشرة ونفي الصفات والقديم تحجّرا.

حكمتم على الرّحمن حجرا محجرا ومتعكم خلق الحوادث دمّرا . [65]

ـ استعمل لونا شعريا آخر تمثّل في التلغيز ، الذي صار نوعا من أنواع الرياضة الأدبية التي يتعاطاها الفقهاء و الشعراء على السواء ، للخروج من رتابة الحياة اليومية ومنها هذا اللغز الذي طرح عليه :

ألا أيها الغادي على ظهر أجرد يشق الفيافي فدفدا بعد فدفد .

تحمل رعاك اللّه مني تحية تحيي بها أهل المجالس في غد .

وقل لهم ما سبعة خلقوا معا وما سبعة في ثوب خز مورد .

حواجبهم سبعون في وجه واحد وأعينهم تسعون في خلق هدهد.

أبوهم له حرفان من اسم جعفر وحرفان من اسمي علي وأحمد .

وجاء جواب الشيخ الشاوي على النحو الآتي :

هم سبعة من بيضة خلقوا معا ومثلهم في ثوب خز مورد .
حواجبهم سبعون في كل واحد و أعينهم تسعون صورة هدهد .
أبوهم رجيم مارد متمرد وقد جمعت من لفظ لغز مقيّد [66].

وجاء في شرحه لهذا اللغز ـ نثريا ـ بقوله : رجيم مارد متمرد ، أي أبوهم الذي هو العرش المجيد محيط بالسماوات التي هي على صورة هدهد منمقة بالكواكب تنميق الهدهد بالنقط ومنها يقع الرجم لكل شيطان مارد متمرد [67].

كانت له سجالات فكرية مع فقهاء عصره خاصة المتصوفة الذين غلّبوا الباطن على الظاهر ، و طغت عليهم الغيبيات الخرافية ، و الاعتقاد في الأولياء الأحياء منهم و الأموات ، كما وجّه انتقادات لاذعة للفكر الاعتزالي ، وللفكر الفلسفي الذي رأى فيه محاربة للإسلام و خروجا عن شريعته ، و أكثر من وجّه له سهام النقد نور الدين ابراهيم الكوراني* صاحب كتاب (مسلك السداد إلى مسألة خلق أفعال العباد) الذي قال فيه أن العبد يخلق أفعاله بنفسه ، و اعتبر الشيخ الشاوي ذلك فكرا اعتزاليا ،لأنهم يقولون أن العبد يخلق أفعاله لأنه مستقل في إرادته وقدرته ، وذهب الكوراني إلى أبعد من ذلك بعد تبنيه لمعتقدات التجسيم و الاتحاد ، ثم تنطّع إلى الاستنقاص من قيمة الرسل ، وهذا ما دفع الشيخ الشاوي إلى إعلان الحرب عليه و الإفتاء بكفره ، بل بوجوب قتله وفي ذلك يقول : (... إن هذا الرّجل ساب بلا شبهة في ذلك ، فيقتل و لا تقبل توبته إن وجد للإسلام ناصر ، .. فقد جمع الاعتزال و الإتحاد و التجسيم ، ونسبة الكفر للنبي صلى اللّه عليه وسلّم ، فالواجب على كل مسلم أن يأخذ بثأر الدين ، وبثأر النبي صلى اللّه عليه وسلّم ، بالبيان و بالبنان واللسان و بالسنان ، أعاذنا اللّه من بلائه) [68] .

يظهر من هذا الموقف ، و الفتوى الفقهية الصارمة ، أن الشيخ الشاوي كان يرى في نفسه الأكثر تأهيلا للإفتاء في تلك المسائل الشائكة ، كما تظهر مدى الجرأة التي بلغها في إصدار مواقفه و أحكامه ، رغم كونه غريب الديار ، و تبرز من جهة أخرى إلمامه بمذاهب الفلاسفة و المعتزلة ، و قدرته العقلية و العلمية على محاجتهم و إبطال إدعاءاتهم وإن كانت الدعوة إلى القتل لا يجب أن تصدر إلا من صاحب الأمر والنهي ممثلا في السلطان ، أو من ينوبه من الولاة ، وقد يكون قصد من تلك الفتوى تنبيه الناس فقط إلى خطورة ما يكتبه الكوراني على معتقدات المسلمين ليحذروها .

للشيخ الشاوي اجتهاداته الشرعية الخاصة في الفقه و العقيدة ، فهو يمجد العقل و يجعله أحد أساسيات فقه الشّرع بما فيها العقائد ، ويرى أن جل العقائد طريقها العقل وأنّ هناك أقسام في العقيدة تثبت بالعقل والنقل معا ، ويعطي الأولوية للنقل (من القرآن الكريم و السنة المطهّرة) في الصفات المتعلّقة بنفي النقائص عن اللّه ، ويؤكد ذلك بقوله: (... والعقائد جلّها إنما طريقها العقل .. وقسم يصحّ إثباته بالعقل و النقل ، إلا أن النقل أولى فيما يرجع إلى نفي النقائص عنه تعالى وبصره و كلامه ...) [69] ، ويعتبر أن القرآن الكريم يتضمن أدلّة عقلية قطعية الثبوت وقطعية الدلالة ، بما يدحض أدلة المتكلمين من

المعتزلة الذين خاضوا في الكلام عن صفات اللّه ، و أفعال البشر و التجسيم و غيره ومما جاء في توجيهه للاحتجاج بالقرآن الكريم قوله :

فالظن بالمسلم في إقراره تصديقه الرّسول في إخباره.
متبعا أدلّة القرآن إرشادها أوضح البيان .
من منهج الكلام فيه حقّ وتلك أيسر لديها الصّدق . (70)

رغم الأحكام القاسية التي أصدرها الشيخ الشاوي في حق الكوراني ، إلا أن آراءه الفقهية ظلّت وسطية معتدلة ، تنبع من عالم وازن بين القطعيات والظنيات في الشريعة الإسلامية ، مبتعدا عن الأحكام الفقهية المتطرّفة التي ترى بتكفير الناس على جهلهم ، فهو في ذلك يميّز بين العلماء الذين يسميهم (أصحاب النظر في الأحكام الفقهية) و بين المقلدين ، الذين لا يمكنهم النظر في الأحكام الشرعية ، فهو لا يقطع بتكفير المقّلد التارك للنظر ويعتبر غايات الواجبات الأصلية قسما : قسم يكفّر تاركه و آخر يعصّى تاركه وذلك هو المقلّد لغيره في الأحكام .

لقد تميّز عن الكثير من العلماء المعاصرين له بكونه ـ في اعتقادي ـ الأقرب إلى الفكر الإسلامي الواضح المعالم ، فلم يتنطّع في الفكر الظاهري العقلي ويأخذ مشارب المعتزلة الذين غلّبوا العقل على النقل فجانبوا الصواب في الكثير من القضايا الإسلامية وفي نفس الوقت تصوّف التصوّف الإسلامي السنّي مبتعدا عن شعوذة وشطحات المتصوّفة التي كانت ـ في الكثير من الأحيان ـ أقرب إلى الدجل و الخرافات والبدع ، بل وصلت حد الشرك باللّه ، بتقديسهم الأولياء و أضرحتهم فاقتبس من المعقول والمنقول حسب مقتضيات الشّرع الحنيف ، وهو بذلك يشكّل نموذجا نادرا في عصر ساد فيه التصوّف جميع مظاهر الحياة الإسلامية .

و في كل الأحوال يبقى الشيخ الشاوي النائلي ذلك القطب الذي شدّ بعلمه وجرأته انتباه المشرق العربي حكاما وعلماء خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري لكنّ تصوراته الفكرية ، وآراءه الفقهية ، وثروته اللغوية لم تأخذ حقها من الدراسة و التمحيص و التحقيق ، وصار إنصافه و استجلاء تراثه الفكري و اللغوي والشرعي واجبا وطنيا ، وضرورة يقتضيها الفراغ الثقافي في الساحة الوطنية ـ بل العربية ـ وحاجتها الماسة إلى ذلك النوع من الإنتاج الفكري و الشّرعي و اللغوي الراقي .

الهوامش .

1 ـ محمد أمين المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، دار صادر بيروت ، لبنان ، دون تاريخ .ج 04 ، ص : 486 . انظر . ـ الخطيب البغدادي : الكفاية في علم الرواية . المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، د.ت ، ج 06 ، ص : 533 .

2 ـ عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، الجزء 03 ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، 1980 .، ص : 173 . * للإطلاع على المزيد حول أصل ونسب أولاد نائل راجع : عامر محفوظي : تحفة السائل بباقة من سيدي نائل

، دار أسامة للطباعة والنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2006 . راجع أيضا .

–FRANÇOIS DE VILLARET : siècles de Steppe ' jalons pour L'Histoire de Djelfa centre de documentation saharienne 'Ghardaïa' Algérie ' T1. 1995 '

3 ـ محفوظي : المرجع السابق ، ص : 154 . انظر . غماري : المرجع السابق ، ص : 17 .

4 ـ محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية و مكتبتها القاهرة ، 1930، ج 01 ، ص : 316 . انظر . . ابن عبد الباقي الحنبلي: مشيخة أبي المواهب الحنبلي : مصدر الكتاب ، موقع الوراق ، الانترنيت : http://www.alwarraq.com ، ج 01 ، ص : 21 .

5 ـ البغدادي : المرجع السابق ، ج 06 ، ص : 533 .

6ـ المحبي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص : 485 .

7ـ سعد الله : نفس المرجع ، ص : 44 . انظر . دار الكتب المصرية ، مصطلح الحديث مجموعة رقم : 335 .

8 ـ سعد الله : تاريخ الجزائر ... ، ج 02 ، ص : 44 . انظر . دار الكتب المصرية ، مصطلح الحديث مجموعة ، رقم : 313 ، 366 .

9 ـ المحبي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص : 485 . انظر . الحفناوي ' المرجع السابق ، ج 01 ، ص : 222 . انظر . الجيلالي ' المرجع السابق ، ص : 173.

* ذكر .د . سعد الله أن من العلماء الذين أخذ عنهم في تلمسان سعيد المقّري ، لكن ما تؤكده المصادر أن الشيخ سعيد المقّري توفي بين سنتي (1010 ـ 1011 هـ) أي انه مات قبل ميلاد يحي الشاوي بحوالي 20 سنة ، لكن مع ذلك فعائلة المقّري عريقة ، وقد يكون الشاوي قد أخذ من أحد علمائها بتلمسان ، للاطلاع على جوانب من حياة الشيخ سعيد المقّري انظر . مخلوف: المرجع السابق ، ج 01 ، ص : 295 .

10 ـ مصطفى غماري : المحاكمات بين ابي حيان و ابن عطية و الزمخشري للشيخ يحي الشاوي ، رسالة دكتوراه ، إشراف الدكتور ' زبير سعدي ، جامعة الجزائر ، 1998 ، ص ، ص : 20 ، 21 .

11 ـ المحبي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص : 485 .

* حصل يحي الشاوي على إجازة الشيخ الثعالبي في علوم الحديث الشريف . انظر . نص الإجازة بدار الكتب المصرية ، مصطلح الحديث ، رقم : 313/335 ، مجموعة 286 تيمور . انظر . مخلوف : المرجع السابق ج 01 ، ص : 316 .

12 ـ المحبي : نفس المصدر ، ج 03 ، ص : 241 .

** لم تتطرق المصادر التاريخية إلى المكان الذي جلس فيه للتدريس ، رغم ان أغلب المراجع تشير إلى مدينة الجزائر، وهل كان مدرسا حرا ام موظفا رسميا . انظر . سعد الله : تاريخ الجزائر ، ج 02 ص : 110 .

13 ـ المحبي : نفس المصدر ، ج 04 ، ص : 486 .

14 ـ سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 02 ، ص : 109 .

15 ـ الجيلالي : المرجع السابق ، ص : 174 .

16 – L . MEREOUCHE : Recherches sur L‹Algérie à L‹époque Ottomane’ I . Monnaies ’ prix et revenus ’ 1830 – 1520 ’ Editions Bouchène ’ Paris’ ’2002P134:

. انظر . ـ عزيز سامح ألتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : محمود علي عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1989 ، ص : 387 .

17 ـ البوني احمد بن قاسم : التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف ، تحقيق سعيد دحماني ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2001 .، ص : 36 .

* ذكر محمد البرزنجي أن يحي الشاوي قد ارتكب في الجزائر ما أو جب إخراجه منها ، لكن هذا الكلام مجانب للصواب ، لأنه ماثب عليه مناهضة الحكام ، ولا يخرج كلام البرزنجي عن الحنق الذي كان يحمله للشيخ للشاوي بعدما هاجم متصوفة عصره ، وعلى رأسهم حسن الكوراني وقذفه بالكفر ، للمزيد من الإطلاع عن موقف البرزنجي من الشاوي ، انظر . سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ـ ج 02 ، ص : 143 ، و ما بعدها .

* أشار صاحب (موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين) أن الشيخ الشاوي انتقل إلى عنابة عبر بجاية متلافيا الشرق الجزائري بما فيه (قسنطينة) والذي كان يعيش الاضطرابات و الثورة على العثمانيين ، وهذا ما يتنافى مع ما ذهب إليه صاحب تاريخ الجزائر العام ، أنه مرّ على قسنطينة و التقى الشيخ بركات بن باديس و لكن قد يكون سؤال الشيخ بركات تم عبر المراسلة و هي عادة منتشرة بين الفقهاء ، مما يرجح مروره عبر الطريق الساحلي . انظر . رابح خيدوسي : موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين دار الحضارة ، الجزائر ، 2002 ، ص: 53 .

18 ـ عبد الله العياشي : الرحلة العياشية . 1661 ـ 1663 هـ ، تحقيق : سعيد الفاضلي . سلمان القرشي ، ط 01 ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 2006 ، ج 01 ، ص : 478 .

** أبو عبد الله بن علاء الدين البابلي القاهري الأزهري الشافعي المولود سنة 1000 هـ/1592 م ، أحد كبار العلماء المصرين على المذهب الشافعي ، أحد الأعلام في الحديث و الفقه وهو أحفظ أهل عصره لمتون الأحاديث وأعرفهم بجرحها ورجالها و صحيحها ، له مؤلفات كثيرة من أهمها : منتخب الأسانيد في وصل المصنفات و الأجزاء و الأسانيد ، توفي سنة 1077 هـ/ 1667 م . انظر . عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، ط01 ، 1993 ، ج 06 ، ص : 84 .

19 ـ المحبي ’ المصدر السابق ، ج 04 ، ص : 486 . انظر . مخلوف : المرجع السابق ، ج 01 ، ص : 316 . انظر أيضا . الحفناوي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص :222 .

20 ـ العياشي : المصدر السابق ، ج 02 ، ص : 487 .

* كانت العلاقات بين (الشاوي ، و العياشي) متوترة ، و حدث بينهما تنابز ، وناك كل منهما من الآخر فالشيخ الشاوي النائلي كان يدافع عن علماء السنة ، وينتقص من شأن المتصوفة و علماء الباطن ، وكان يرى أن أهل المغرب لهم غيرة على نفي الاعتقاد في الأولياء والزهاد ، و قهرت هممهم ، بما فعله العياشي الذي لقّبه (بالشيطان) ، وفي المقابل كان العياشي متعصبا لعلماء الباطن و كرامات الأولياء و خوارق علمائهم .

21 ـ المحبي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص : 486 .

** أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم التتائي المصري المالكي ، درس عن نور السنهوري ، واحمد بن يوسف القسنطيني ، عمل قاضيا للمالكية ، ثم تفرّغ للتأليف و الإقراء ، له شرحان على مختصر خليل وشرح إرشاد ابن عساكر ، وحاشية على شرح المحلى ، وله تآليف في الفرائضو الحساب و الميقات ، توفي سنة 942 هـ/1536 م . انظر . مخلوف : المرجع السابق ، ج 01 ، ص : 272 .

* تاج الّدين أبو البقاء بهرام بن عبد العزيز الدميري ، ولد سنة 724 هـ ، حامل لواء المذهب المالكي في مصر ، له مؤلفات كثيرة منها : ثلاث شروح على شيخه خليل (كبير ، وسط ، صغير) ، و اشتهر الوسط منهم ، و له شرح على ألفية بن مالك ، وشرح مختصر ابن الحاجب ، وله الدرة الثمينة ، نحو ثلاثة آلاف بيت و شرحها ، توفي سنة 805 هـ/1403 م . انظر . مخلوف : نفس المرجع السابق ، ج 01 ، ص ، ص : 239 ، 24 .

22 ـ صلاح الدين المنجد : صفحات من تاريخ دمشق في القرن الحادي عشر ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، (ماي ـ نوفمبر) ، 1960 ، مجموعة : 06 ص : 91 .

23 ـ محمود مقيدش : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق : علي الزواوي ، محمد محفوظ دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 01 ، 1988 ، ج 02 ، ص : 381 .

* خير الدين بن احمد الرملي ، ولد بالرملة ، وهناك درس ، ثم ارتحل إلى مصر و صار أحد أعلامها وشيخا للمذهب الحنفي ، له العديد من المؤلفات منها : حواش على منح الغفار ، توفي سنة 1081 هـ/1671 م . انظر المحبي : المصدر السابق ، ج 02 ، ص ، ص : 134 ، 139 .

24 ـ نفس المصدر ، ص : 138 .

** استنتجنا هذا التاريخ من خلال ما أورده المحبي ، بأن الشيخ خير الدين الرملي في أيامه الأخيرة أجاز الشيخ يحي الشاوي النائلي ، وتعتبر آخر إجازة يمنحها ، وكانت وفاته سنة 1081 هـ/1671 م . انظر . المحبي : نفس المصدر .

25 ـ مقيدش : المرجع السابق ، ج 02 ، ص : 381 .

26 ـ عبد الملك العصامي ' سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل و التوالي ، مصدر الكتاب ، موقع الوراق الانترنيت : http://www.alwarraq.com ، ج 03 ، ص ، ص : 82 ، 83 .

* هو السلطان محمد الرابع بن ابراهيم الأول المولود سنة 1051 هـ : 1641 م ، تولى السلطان سنة 1058 هـ/1648 م وهو صبي لم يتجاوز عمره التسع سنوات ، فقامت حركات تمرد داخلية ، وحاولت الدول ألأوروبية النيل من الدول العثمانية مستغلة صغر سنه ، وتجهزت حملة صليبية عرفت بالحلف المقدّس لكن السلطنة وقفت في وجه ذلك الحلف ، وفي عهده كان حصار فينا الثاني 1683/1684 ، يعتبر من أطول السلاطين حكما ، حيث عزل عن الحكم سنة 1099 هـ/1678 م ، وتوفي سنة 1104 هـ/1692 م .انظر . العصامي ' المصدر السابق ، ج 03 ، ص : 456 . انظر أيضا . سمية بنت محمد حمودة : حركة الفتح العثماني في القرن 11 هـ /17 م ، رسالة ماجستير ، إشراف . د ' أميرة بنت زينب علي و وصفي مداح ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، سنة 2006 ، ص ، ص : 65 357 .

27 ـ مقيدش : المرجع السابق ، ص : 383 .

28 ـ العصامي : المصدر السابق ، ج 02 ، ص : 82 .انظر . المحبي : المصدر السابق ، ج 04 ، 487 .

** انفرد مقيدش بهذه الرواية التي اعتبرها عبد الحي الكتاني غريبة ، لأنه لم يذكرها غيره ، وفي نفس الوقت فإن اختيار شيخ الأزهر لا يتم إلا من بين مدرسي المدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعي و التي تخرّج علماء الشافعية . انظر . الكتاني : المرجع السابق ، ج 02 ، ص : 1134 . انظر . احمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1986 ، ج 05 ، ص : 347 .

29 ـ المحبي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص : 487 .

* شيدها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري من مماليك الناصر محمد بن قلاوون في ربيع الأخر سنة 757هـ/ 1356م ، و خصصها لتدريس الحديث ، و الفقه الحنفي ، و كانت معقلاً مزدهراً للفقهاء الحنفية في القرنين الثامن و التاسع ، و موقعه حالياً في شارع الصليبة بحي السيدة زينب بالقاهرة .انظر. أيمن فؤاد سيد : مدينة القاهرة في عصر المماليك .

30 ـ العصامي : المصدر السابق ، ج 03 ، ص : 82 .

31 ـ المحبي : نفس المصدر ، ص : 487 . انظر . محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، ضبط وتصحيح : محمد عبد القادر شاهين ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ط 01 1997 ج 02 ، ص : 118 .

* لم يكن الشيخ الشاوي النائلي مناهضا لفكرة التصوف من أساسها ، بل كان صوفيا سنيا ، مبتعدا عن تخرّقات الصوفية التي قدّست الأولياء و الزهاد ، فكانت اقرب إلى الشرك ، وكان دارسا ومدرسا للتصوّف الصحيح ، وكان يجيز طلبة العلم في التصوف من كتب كثيرة ، منها كتاب الحكم العطائية لإبن عطاء اللّه للإسكندري ، أحد الرموز الكبرى في التصوف الإسلامي . انظر . الحنبلي : المصدر السابق ، ج 01 ، ص : 20 .

32 ـ العياشي : المصدر السابق ، ج 02 ، ص : 487 .

33 ـ المنجد : المرجع السابق ، ص : 91 . انظر. سعد اللّه : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 02 ، ص : 144

** محمد بن عبد الرسول بن عبيد بن عبد الرسول الحسيني الشافعي البرزنجي ، ولد سنة 1040 هـ/1631 م بتركستان في قرية برزنجة ، استقرّ بالمدينة المنورة ، وأخذ عن العديد من العلماء مثل عبد الباقي الحنبلي و علي الشبرملسي وغيرهما ، له أكثر من عشرين تأليفا منها: الأعجوبة في أعمال مكتوبة ، الإشاعة لأشراط الساعة ، الصافي من الكدر في أحاديث القضاء و القدر ، توفي بالمدينة سنة 1103 هـ/1692 م . انظر . مجهول : تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر . ، تحقيق : محمد التونجي ، طبعة دار الشروق ، جدة الملكة العربية السعودية ، ط 01 ، 1984 ، ص : 116 . انظر أيضا . المرادي : المصدر السابق ، ج 04 ص : 65 .

34 ـ العياشي : المصدر السابق ، ص : 487 .

35 ـ المحبي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص : 488 . انظر . العصامي ' المصدر السابق ، ج 03 ص : 83 ، ذكر ابن عبد الباقي الحنبلي أن وفاة الشيخ الشاوي كانت في 20 رمضان . انظر . الحنبلي: المصدر السابق ، ج 01 ، ص : 20 .

36 ـ الكتاني : المرجع السابق ، ج 02 ، ص : 1133 .

37 ـ مخطوط بمكتبة الأزهر ، تحت رقم ، 593 ، (رافعي) 26641 . وصورة للمخطوط بمعهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم : 259 . انظر . غماري : المرجع السابق ص :05 . انظر أيضا . الجيلالي : المرجع السابق ، ص ، ص : 176 ، 177 .

38 ـ سعد اللّه : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 02 ، ص : 18 .

* كان تأليفه لهذا الكتاب سنة 1078 هـ ، ودليلنا في ذلك ما كتبه علي النوري الصفاقسي ، لما أجازه الشيخ الشاوي (... ولمّا كتب الإجازة قال : مؤرخة بمجموع الاسم و اللقب ، فعددت حروف يحي الشاوي فوجدتها ثمانية وسبعين و ألف ...) . انظر . الكتاني : المرجع السابق ، ج 02 ، ص : 1133 .

39 ـ مخطوط بمكتبة جامعة الرياض ، قسم المخطوطات ، رقم : 3964. وأمتلك صورة من هذا المخطوط . انظر . صورة الورقة الأولى و الأخيرة بالملحق ، ص ، ص : 200 ، 201 .

40 ـ مخطوط بوزارة الشؤون الدينية الجزائرية ، رقم 629 . أشار سعد اللّه إلى وجود نسخ أخرى لهذا المخطوط في الخزانة العامة بالرباط ، رقم : 2097 ، د ، مجموع ، 212 ـ 364 . انظر . سعد اللّه : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 02 ، ص : 114 .

41 ـ البغدادي : المرجع السابق ، ج 06 ، ص : 533 .

42 ـ الحفناوي : المرجع السابق ، ج 01 ، ص : 226 .

43 ـ سعد اللّه : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ،ج 02 ، ص : 144 . 145 .

* ذكر .د . سعد اللّه أن لديه صورة من (العقاب الهاوي) حصل عليها من مكتبة برنستون الأمريكية ، تحمل

رقم : 978 . انظر . سعد الله : نفس المرجع ، ص : 112 .

44 ـ غماري : المرجع السابق ، ص : 28 . نسخة من هذا المخطوط بمكتبة تطوان بالمغرب ، رقم : 263 مجموع . انظر . سعد الله : نفس المرجع السابق ، ص : 114 .

45 ـ مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم : 1426 .انظر . المعلمي : المرجع السابق ، ص : 231 .

46 ـ غماري : المرجع السابق ، ص : 27 .

47 ـ المحبي : نفس المصدر السابق . انظر . شرح منظومة لا إله إلا الله ، مخطوط بالمكتبة الأزهرية علوم النحو ، رقم : 316867 .

(48) ـ العصامي : المصدر السابق ، ص : ج 03 ، ص : 82 .

49 ـ محفوظي : المرجع السابق ، ص : 155 .

50 ـ البغدادي : المرجع السابق ، ص : 533 ، توجد نسخة منه بمكتبة الحرم المكي رقم : 2944 ، ف : 815 . انظر . المعلمي : المرجع السابق ، ص : 231 .

51 ـ المحبي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص : 488 . ، توجد نسخة منها بمكتبة السليمانية في اسطنبول رقم : 3246 . انظر .الجيلالي : نفس المرجع ، ص : 176 .

52 ـ عبد الملك العصامي : المصدر السابق . ص : 82 .

* من ابرز مؤرخي القرن الحادي عشر الشاميين ، محمد المحبي صاحب كتاب :خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، أبي المواهب الحنبلي : مشيخة أبي المواهب الحنبلي (جمعه ابن عبد الباقي الحنبلي) محمد خليل المرادي و كتابه : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، محمد نجم الدين أبو المكارم الغزي : الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، وذيله لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر ، (و أغلب المترجم لهم مخضرمين بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر).

* محمد بن تاج الدين بن محمد المقدسي الرملي ، الحنفي مفتي الرملة ، رحل إلى مصر سنة 1066 هـ 1655 م ، وبقي فيها أربع سنوات ، ودرس على الشيخ سلطان المزاجي ، و النور الشبرملسي ، و أجازه الكثير من العلماء منهم شيخ الإسلام يحي المنقاري ، و الشيخ يحي الشاوي ، توفي سنة 1097 هـ/1685 م انظر . المحبي : المصدر السابق ، ج03 ، ص ، ص : 411 ، 413 .

53 ـ نفس المصدر ، ص : 412 .

** أبو المواهب بن عبد الباقي بن عبد الباقي الحنبلي الدمشقي ، ولد في رجب 1044 هـ/1634 م ، أخذ الإجازة من عدة علماء منهم ، الشيخ الشاوي ، الشيخ الثعالبي ، وفي مصر أخذ عن الشبرملسي ، و سلطان المزاجي ، صار مفتيا للحنابلة بدمشق ، وله موسوعة عن العثمانيين وولاة الشام ، توفي في شوال 1126 هـ/ 1714م . انظر . المرادي : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ، ص : 42 ، 43 .

*** محمد بن زين الدين عمر أبي عبد الله الكفيري ، ولد بدمشق سنة 1043 هـ/1633م ، أخذ عن الشيخ الشاوي و ابي المواهب الحنبلي ، له عدة تآليف منها : الدرة البهية على مقدمة الأجرومية ، حاشية على الأشباه والنظائر في الفقه الحنفي ، توفي سنة 1130 هـ/1717 م . انظر . المرادي : المصدر السابق ج 02 ، ص ، ص : 88، 92 .

54 ـ مخطوط (بخط الشيخ الشاوي) ، دار الكتب المصرية ، مصطلح الحديث ، ضمن مجموعة رقم : 313 . انظر . سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 02 ، ص : 50 .

* تقي الدين بن محمد شمس الدّين الحصيني الحسيني الشافعي ، ولد بدمشق سنة 1053 هـ/1643 م و أجازه الكثير من العلماء لأمثال عبد الباقي الحنبلي و الشيخ الكوراني ، له تآليف في الأنساب والتاريخ توفي في ذي الحجة 1129 هـ/1716 م . انظر . المرادي ' المصدر السابق ، ج 01 ، ص : 180 .

55 ـ مخطوط بدار الكتب المصرية ، المصدر السابق ، مجموعة رقم : 335 . انظر .سعد الله : نفس المرجع السابق .

** أبو الإسعاد أيوب الخلواتي الدمشقي الحنفي ، ولد بدمشق سنة 1053 هـ/1643 م ، و أخذ عن الكثير من العلماء و صار من كبار العلماء المحققين ، ارتحل إلى دار الخلافة ، وأخذ الإجازة عن الشيخ الشاوي واشتغل بالطب ، وترقى إلى ان صار رئيس الأطباء في (مارستان) السلطان محمد الرابع ، توفي سنة 1106 هـ/1694 م . انظر . المرادي : المصدر السابق ، ج 01 ، ص ، ص : 30 ، 31 .

*** زين الدين بن محمد بن احمد بن محمد الشهير بالبصري ، الشافعي الدمشقي ، ولد سنة 1039 هـ 1629 م ، وأخذ عن الكثير من العلماء منهم خير الدين الرملي ، وأجازه الشيخ الشاوي ، بالقسطنطينية ، تولى التدريس بالمدرسة الصلاحية بالقدس الشريف ، ثم مفتي الشافعية ، صار إماما عند الوزير الأعظم مصطفى باشا ، وعرف بمعرفته للأدب والشعر والتاريخ ، توفي في نواحي بلغراد سنة 1102 هـ/1691 م ، بعدما شهد فتحها . انظر . المرادي : نفس المصدر ، ص ، ص : 251 ، 253 .

*4 عبد الرحمن بن يحي بن محي الدين السليمي الحنفي المعروف بالمجلد الدمشقي ، ولد حوالي 1030 هـ/1621 م ، أخذ عن الكثير من العلماء منهم عبد الباقي الحنبلي ، وأجازه الشيخ الشاوي و الشيخ محمد بن سليمان المغربي درّس بالجامع الأموي ، توفي سنة 1140هـ/1727 م . انظر . المرادي : نفس المصدر ج 02 ، ص ، ص : 375 376

*5 أبو المواهب الحلبي سبط العرضي ، الحنفي ، و لد بحلب و قرأ على علماء الشام ثم رحل إلى القسطنطينية وبقي هناك سنوات حيث التقى الشيخ الشاوي و أجازه ، توفي سنة 1109 هـ/1697 م ودفن بالقدس . انظر . المرادي : نفس المصدر ، ج 01 ، ص ، ص : 44 ، 45 .

56 ـ المحبي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص : 488 .

* الأرجح أن الشيخ عبد الرحمن الشامي هو نفسه الشيخ عبد الرحمان المجلد الشامي ، انظر الإشارة إليه في الصفحة السابقة (176) .

57 ـ مخطوط بدار الكتب المصرية ، مصطلح الحديث ، ضمن مجموعة رقم : 335 . انظر . لزعم : المرجع السابق ، ص : 185 .

* سليمان بن إسماعيل بن تاج الدين بن احمد المعروف بالمحاسني الدمشقي ، ولد بدمشق وأخذ عن علمائها خاصة أبيه اسماعيل المحاسني خطيب الجامع الأموي ، خلف أباه في الخطابة والتدريس في المدرسة السليمية و الصالحية ، . انظر . المرادي : المصدر السابق ، ج 01 ، ص : 159 .

58 ـ المنجد : المرجع السابق ، ص : 91 .

** إلياس بن إبراهيم بن داود بن خضر الكردي الشافعي ، ولد سنة 1047 هـ/1637 م ، قدم إلى الشام شنة 1070 هـ/1660 م ، وأخذ عن علمائها ، منهم النخلي ، وأجازه الكثير من العلماء مثل محمد بن عبد الرسول البرزنجي و الشيخ يحي الشاوي و غيرهما ، كان من المتصوفة ، ولا يلبس إلا الخشن ويتصدّق بالجديد ، له العديد من التآليف منها : سبع حواشي ، مثل حاشية على شرح الاستعارات ، حاشية على شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان ، وحاشية على شرح السنوسية ، توفي سنة 1138 هـ/1726 م انظر . المرادي : المصدر السابق ، ص ' ص : 173 ، 174 .

*** إبراهيم بن محمد بن كمال الدين بن محمد بن حمزة الحرّاني الدمشقي ، ولد سنة 1054 هـ/1644 م أخذ عن الكثير من علماء عصره مثل الشيخ محمد بن سليمان المغربي ، و الشيخ إسماعيل المحاسني وأجازه الشيخ الشاوي وأعلام دمشق ، كان أحد أعلام المحدثين ، وجهابذة المذهب الحنفي ، درّس بمصر والشام ، من مؤلفاته : أسباب الحديث ، حاشية على شرح الألفية ، توفي سنة 1120 هـ/1708 م . انظر . المرادي : نفس المصدر ، ص ، ص : 13 ، 15 .

* محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان المعروف بالعمادي ، الحنفي الدمشقي ، ولد بدمشق سنة 1075 هـ/ 1664 م ، أخذ العلم عن الكثير من العلماء أمثال أبي المواهب الحنبلي، وأجازه الشيخ الشاوي ، تولى التدريس بالسليمانية ، ثم إفتاء الحنفية بدمشق ، كان يسمى بصدر الشام ، وحبر الفقهاء ، صارت له مكانة كبيرة بين العلماء والحكّام ، توفي سنة 1135 هـ/1723 م . انظر . المرادي : المصدر السابق ، ج 02 ص : 73 .

** علي بن محمد النوري الصفاقسي ، ولد بتونس سنة 1053 هـ/1643 م ، و هناك درس ، ثم رحل إلى المشرق العربي ، حيث درس قرأ على كبار علماء عصره من أمثال : الشيخ السنهوري ، و محمد الخفاجي وأخذ العديد من الإجازات العلمية منها إجازة الشيخ الشاوي ، عاد إلى تونس و صار إمامها ، له العديد من المؤلفات منها : غيث النفع في القراءات السبع ، تنبيه الغافلين في تجويد كلام رب العالمين ، رسالة في تحريم الدخان توفي سنة 1118 هـ/1706 م . انظر . مخلوف : المرجع السابق ، ج 01 ، ص ، ص : 321 .322

*** للإطلاع على الطريقة التي استعملها العلماء لتحويل الحروف إلى أرقام ، واستنتاج السنوات . انظر . العياشي : المصدر السابق ، ج 02 ، (ط 2006) ، ص : 19 ، 20 .

59 ـ الكتاني : المرجع السابق ، ج 02 ، ص : 1133 .

*4 ـ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الفيومي ، ولد سنة 1062 هـ/1652 م ، أخذ عن الكثير من العلماء أمثال الشبرملسي ، وعيد الرحمان الاجهوري و الشيخ الشاوي ، كان شيخا للأزهر ، وله شرح على العزية في مجلدين ، توفي سنة 1127 هـ/1715 م . مخلوف : المرجع السابق ، ص : 318 .

60 ـ العصامي : المصدر السابق ، ج 03 ، ص : 82 .

61 ـ العياشي : المصدر السابق ، ج 02 ، (ط : 2006) ، ص : 487 .

62 ـ المحبي : المصدر السابق ، ج 04 ، ص : 487 .

* ذكر العياشي أنه تولى قضاء المالكية ، و عزل عنه الشيخ عمر فكرون (التونسي) ، بعدما اتهم بالجور في الحكم و المداهنة و أخذ الرشا ، وقد لمّح العياشي ان وصول الشيخ الشاوي إلى أرباب الدولة في مصر هو ما مكنه من إزاحة الشيخ فكرون ، لكن نبرة العياشي فيها نوع من التحامل ، ولذلك مايبرره كونه أكبر من نافسه على الإفتاء ، وتصدّر المجالس العلمية ، و مهاجمة الشيخ الشاوي للممعنيين في علوم الباطن والعياشي من أعلامهم . انظر . العياشي : المصدر السابق ، ج 02 ، (ط : 2006) ، ص : 487 .

63 ـ الحنبلي : نفس المصدر .

** الأكيد أنها هذه الرحلة الأخيرة (1089 ـ 1090 هـ/1678 ـ 1679 م) حيث كان له متسع من الوقت للتدريس في الطريق نحو استانبول ، وفي الجامع الأموي ، لأن الرحلة الأولى سنة 1081 هـ/1670 م كان في مهمة رسمية ، استحثّ فيها السير ليعرف ما هو الطارئ العلمي الذي يجعل خليفة المسلمين يطلب عالما على جناح السرعة .

64 ـ غماري : المرجع السابق ، ص : 25 .

65 ـ المحبي : المصدر السابق ، ج 02 ، ص : 478 . انظر . الحفناوي : المرجع السابق ج01 ص : 224

66 ـ سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 02 ، مرجع سابق ، ص : 297 .

67 ـ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري : رحلة ابن حمادوش الجزائري ، المسماة (لسان المقال في النّبإ عن النّسب و الحسب و الحال) ، تقديم وتحقيق وتعليق ، ابو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص : 136 .

* إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري ، الصوفي النقشبندي ، ولد سنة 1025 هـ/1616 م ، نزيل المدينة المنوّرة ، أخذ عن علماء كثيرون من مختلف الأمصار ، كسلطان المزاجي ، وعبد الباقي الحنبلي ومحمد البابلي وغيرهم ، ألّف ما يربو عن مائة كتاب ، منها : تحقيق التوفيق بين كلامي أهل الكلام وأهل الطريق ، النبراس في

كشف الالتباس توفي سنة 1101 هـ/1690 بالمدينة المنوّرة . انظر . المرادي : المصدر السابق ج 01 ص : 04 .

68 ـ سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 02 ، ص :145 .

69 ـ يوسف عدار : أوصول أحكام النظر و التقليد عند علماء المغرب الإسلامي في القرن التاسع و العاشر و الحادي عشر ، مقارقة بأصولها عند المشارقة ، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر اشراف .د ' عمار جيدل ، 1999 ، ص : 216 ، انظر . يحي الشاوي : حاشية على شرح أم البراهين مخطوط بوزارة الشؤون الدينية الجزائرية ، رقم 629 ، ورقة : 02/ظ .

70ـ نفس المصدر : ورقة : 33/ظ . انظر . يوسف عدار : نفس المرجع .